بين يدي الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام)

محمد بحر العلوم

B.M BOX 2993
LONDON NW10 3AW.UK
Tel:+4420 7328 4498
Fax: +4420 8830 1826
Email: Zaid publishing@i12.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الغر الميامين وعلى أصحابه المنتجبين.

وبعد:

قال رسول الله ﷺ عن الحسن:

«إنه(الحسن عليه السلام) ريحانتي من الدنيا».

و«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

و «أبناي هذان (الحسن والحسين) إمامان إن قاما وإن قعدا».

المقدمة:

الإمام الحسن (المجتبى) بن علي بن أبي طالب عليه السلام أحد الغصنين الطاهرين «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»، جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوهما علي بن أبي طالب، وأمهما فاطمة الزهراء ـ عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام ـ ..

هذه النبعة الطاهرة ظلمت في حياتها وبعد مماتها ظلماً لا مثيل له تاريخياً واجتماعياً، رغم ما كتب عنه، وألفّ فيه، فقد نسب المؤرخون إليه من اتهامات باطلة لا أساس لها من الصحة، ولو كان المحققون والباحثون قد أخذوا بنظر الاعتبار مكانة أبي محمد الحسن من الناحية الإيمانية، والأوصاف الرائعة التي منحها رسولنا الأعظم لهذه الشخصية الجليلة في أحاديثه المتكررة عنه وعن أخيه الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام لما تمكنّا من كيل هذه الاتهامات الظالمة على الإمام المنصوص عليه بالإمامة من الله سبحانه بواسطة رسول الله ﴿وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾.

والاتهامات عديدة ولعل أبرزها ثلاثة:

الأولى ـ أنه صالح معاوية في أمر الخلافة وتنازل عنها!!

الثانية ـ أنه كثير الزوجات، حتى ذهبت بعض الروايات المغرضة إلى أن عدد زوجاته بلغن الثلاثمائة، أي مزواج ومطلاق!!

الثالثة ـ أنه مسرف في الكرم إلى حد التبذير!!

ومن زمان بعيد كنت في صدد الحديث عنه في ذكرى ميلاده السعيد، وكانت هذه المواضيع الثلاثة تصم فكري بعنف، فالإمام الحسن عليه السلام إمام معصوم عند الإمامية، وسيدٌ من أهل الكساء عند البعض الآخر، وهو موصوف الرسول محمد صلى الله عليه وآله بسيد شباب أهل الجنة، وريحانته، وقرة عينه، وشبل علي، ومهجة فاطمة، وهم جميعاً أحباء الله وصفوته.

وأخذت أبحث في التاريخ من كتاب إلى كتاب، ومن مؤرخ إلى مؤرخ لأقف على الحقيقة المغيبة عني ـ على الأقل ـ فرأيت أن غالب من يكتب عنه يجلّه، ويحيطه بهالة من الاحترام وحتى التقديس، ولكن ما الفائدة من ذلك إن لم تعالج نقاط الضعف المستترة خلف الكلمات، وفي ثنايا السطور، وهي تهدم كل جوانب الإمام والإمامة، سواء في تنازله عن الخلافة لمعاوية المذموم في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله، أو ما يشين مكانته الاجتماعية، وهو «القدوة للأمة»، أو أن يوصف بالمسرف وهو الأمر المذموم عند الله، ويخدش بكمال الإمام، وهو اللباب المصفى.

القضية عندي معقدة للغاية في تصوري لا يقبلها منطق العقل، ولا ترتضيها المروءة، هذا ليس من خلق ربيب النبوة والإمامة، ولا من عادات الشرفاء، ومن أي زاوية أتناولها يرفضها الواقع المنطقي جملة وتفصيلاً. والمصادر في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام كثيرة للغاية، فما من مؤرخ أو كاتب يتناول حياة آل الرسول ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ إلا وعرج على حياة الإمام الحسن عليه السلام، لكن ـ ويا للأسف ـ لم يعالج هذه المواضيع معالجة جادة، بحيث لا تبقى معومة في ذهن

البسطاء من أمتنا، وتثبت كحقائق خطيرة تمس العقيدة، وتثير التساؤلات. ونظراً لأهميتها ـ كما أعتقد ـ كان عليّ أن أكتبها كما أفهمها وتوصلت لها لعلي أكون قد قمت بواجب نحو عقيدتي وإمامي، وأرجو أن أوفق الآن إلى ذلك بعد أن أزُيح عنا الكابوس، وركام الغربة.

والله سبحانه الموفق والمسدد للصواب.

بغداد ١٥رمضان عام ١٤٢٥

في بداية الحديث

في اليوم الحادي والعشرين من عام أربعين للهجرة فارق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دنياه بمؤامرة قوامها القاسطون والمارقون والناكثون، وأنشدت الأنظار إلى الإمام أبي محمد الحسن ليخلف أباه في الخلافة بوصية من الإمام الراحل علي عليه السلام.

وأبو محمد الحسن معروف بفضله وإمكاناته الإدارية وقدراته السياسية في تحمل المسؤولية الرسالية، فقد عرك الحياة من يوم شب في حجر النبوة ورعاية الإمامة، وعاش كل إبعاد تلكم الفترة القاسية التي مرت على جده محمد، وأبيه علي، ومحاربة البيت الأموي لهما، وتجييش القبائل، ودفع رجال السوء ـ بالإغراء والإرهاب ـ على إعادة عجلة التاريخ الجاهلي للساحة الإسلامية من جديد، فهيهات أن تجمع النبوة والخلافة في البيت الهاشمي ـ كما صرح بذلك الخليفة الثاني، في حواره مع ابن عباس وهو في فراش المرض ـ [1].

من هذا المنطلق التعسفي المريض تبدأ الاجتماعات التآمرية، والمراسلات الإغرائية بين الكوفة ودمشق، بين نفوس مريضة وضعيفة تلفظ مفهوم مصلحة الإسلام العليا، لحساب مصالحها

---

١ ـ لزيادة الاطلاع على الحوار بين الخليفة وابن عباس يراجع (في رحاب أئمة آل البيت الامام أمير المؤمنين علي ـ محمد بحر العلوم: ١٠٣١٠١ / طبع بيروت دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٠) مع مصادر الحوار.

النفعية، وثاراتها الجاهلية، وبين توجه دنيوي محض، وتهالك جشع على الوصول للسلطة والحكم وان كان على حساب العقيدة والأمة، وبعيداً عن كل القيم الإنسانية والوازع الأخلاقي ومهما كلف الأمر، وبكل صلافة واللامبالاة من العواقب الوخيمة المترتبة على تلك الفعلة النكراء.

كما أن البُعد بين الجانبين المتقابلين واضح وجلي لكل نسيج الأمة السادرة في التآمر، والتي تعيش لحظة الحال دون ثمة تفكير في المستقبل القريب أو البعيد، في عرف هذه الجماهير التي تنقاد إلى المصائر المؤلمة دون محاسبة الذات سوف تبقى رهينة «التبعية» وعدم التحفز نحو الحقيقة والواقع، وبالتالي الصراع القاتم الذي يطيح بالمعالم الجذرية للسمو النفسي والعقائدي.

المشكلة في قصر النظر، وبُعده، وبين العقل الهادف، والجموح المادي التخلفي، وهي محنة ما بعدها محنة كما لمسناها بعد حفنة من الزمن، وركام من التأزم الموروث الخطير.

للسواد الأكثر من مسلمي الكوفة موقف يدل على الخيانة العظمى منهم نحو إمامهم الذي بويع بالأمس القريب، مما أضطر أن يعقد هدنة مع عدو لدود حمل راية المعارضة ضد البيت العلوي من اليوم الذي عرف فيه الحياة، هو معاوية ابن أبي سفيان، ولابد أن نتذكر موقف أبي سفيان قبل سنين مضت وقد دالت أمور الخلافة إلى عثمان بن عفان فيقولها بكلمة صريحة لا مجال للتأويل والدفاع عنه، قالها بملئ فمه: «...يا آل أبي سفيان عضوا عليها بالنواجذ، وتلاقفوها تلاقف

الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار»[1]، فهل أكبر من هذا دليل نثبت به صحة الادعاء؟

لقد أنهى معاوية دور الإمام علي عليه السلام باغتياله في الكوفة بعد صفين، والمسلمون في الكوفة والشام يتأهبون للعودة للحرب، وأدار المؤامرة ثلاثة أشخاص فتك بهم الحقد فأشهروا العداء بلون وآخر: معاوية بطل الأمويين الحاقدين، والأشعث بن قيس زعيم منافقي الكوفة، وابن ملجم يمثل تيار الخوارج الناقمين.

وجاء دور الإمام الحسن عليه السلام...

والحديث عن الإمام الحسن عليه السلام، وعن ملابسات دوره كإمام يقابل الظلم ويقارع الباطل شائك ومعقد، بحيث فسح المجال للمؤرخين وللكتاب أن يقولوا فيه حسب اجتهادهم وأهوائهم، وتبعاً للخلفيات التي يعيشها كل واحد منهم، وقد جاءت تلكم الكتابات فيها الكثير من المغالطات في النقول التي يعوزها التقصي والتتبع، والدراسة الموضوعية. الأمر الذي جعلنا أمام ركام كبير من المغالطات، والكلام الرخيص، والجري وراء العاطفة البغيضة، ولقد انعكس هذا القتام التاريخي حتى على كتابة بعض مؤلفي الشيعة، في حين كان الأحرى بهم أن يكونوا محققين أكثر من غيرهم في هذا الأمر، نظراً لكونه ـ في رأينا ـ إمام معصوم، ولا يمكن أن يفرط ولو بمقدار ذرة بما يخل بشأنه، وشأن المسلمين وصلاحهم.

---

١ ـ بحر العلوم ـ المصدر السابق: ١٣١.

ولابد ونحن في صدد الحديث عن تلكم الملابسات ـ أن نتحدث بروح موضوعية ـ ونتدرج في قنوات حياته الرئيسة، ونقف عند أية نقطة تبدو غير واضحة بما يؤدي إلى انعكاس صورة مشوشة، وتشويه الحقائق، لعلنا من وراء ذلك نزيح اللبس.

والله سبحانه الموفق للصواب.

الباب الأوّل

من الولادة إلى الخلافة

الباب الأول

من الولادة إلى الخلافة

يضم ثلاثة فصول:

الفصل الأول ــ في بيت الرسالة

الفصل الثاني ــ في ظــل الخلافة

الفصل الثالث ــ المواجهة السافرة

الفصل الأول:

في بيت الرسالة

ويتضمن البحوث التالية:

١ ــ في ظل محمد صلى الله عليه وآله

٢ ــ ومع أبيه علي عليه السلام

٣ ــ ويشارك أباه في المسؤولية

(١)

في ظل محمد ﷺ

ولد الإمام الحسن في ليلة النصف من شهر رمضان عام ثلاث للهجرة في المدينة المنورة[١]، وسمع رسول الله ﷺ بنبأ الولادة في المسجد، فذهب إلى بيت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فأخذ الوليد بين يديه فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم تناوله أبوه فقبّل ما بين عينيه، وقيل له: سمه، فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله، فسمّاه «حسناً»، ولم يعرف هذا الاسم في الجاهلية[٢].

وكان الحسن في أوصافه الخَلقية والخُلقية ـ كما ذكرت الرواية ـ: «أشبه الناس برسول الله ﷺ خَلقاً، وهدياً، وسؤدداً»[٣].

وتدرج الحسن في بيت الرسالة، وقطع شوطاً من حياته بين جده الرسول العظيم، وأبيه علي، وأمه فاطمة الزهراء. بيت لم تعرف الجاهلية طريقاً لأرجائه، ولا انسابت شفاه ساكنيه بغير التوحيد بالله، والاعتقاد الراسخ بربوبيته، ولم يلج إلى قلوبهم المؤمنة حب صنم، أو

---

١ ـ محمد بن محمد النعمان المفيد ـ الارشاد: ٢ / ٥ طبع قم مطبعة مهر: ١٤١٣ تحقيق مؤسسة آل البيت لاحياء التراث.

٢ ـ محسن الأمين العاملي ـ اعيان الشيعة: ٤ / ق١ / ٣ ـ٤ طبع بيروت (الطبعة الثانية).

٣ ـ المفيد ـ المصدر المتقدم: ٢ / ٥ ، والعاملي ـ المصدر السابق: ٤ / ق١ / ١ ـ٥.

تخامر أفكارهم مودة باطل، والشبل يفتح عينيه بوجه أمه سيدة نساء العالمين، ويستقبل جده رسول الإنسانية بابتسامة الإيمان، وتلامس أنفاسه أنفاس أبيه عدل القرآن. ومن هذه وتلك انطبعت على ملامح الوليد - وهو يشب في هذا البيت - قدسية الله، منذ أن فتح عينيه على هذا الجو الإيماني وهو في ميعة العمر لم يتجاوز السادسة من عمره. ولماذا لا يكون كذلك وقد سمع من اللحظة الأولى من حياته اسم الله يكررها سبعا جده النبي ﷺ، فترسخ في ذهنه كما هي حزمة النور تملأ أعماقه، ولم ينفصل ذلك الحس عنه طيلة حياته طرفة عين، إنه شموخ الإيمان يشب من بين عينيه، فيملأ دنياه نوراً وهدياً.

ويستمر الحسن في ظل جده الرسول ﷺ ينتهل من نميره الصافي معرفة الله، ويعب من الفيض النبوي ما يقوّم به عوده، ثم يستجلي مثُل أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام القيمة الإنسانية ما يبني بها حياته، ويقتبس من خصال أمه فاطمة ما يجعلها ركيزة أيامه الحالية والقادمة.

وإلى جانب هذا كان يشاهد مواقف أبيه علي عليه السلام إلى جانب جده ﷺ هادياً، ومبلغاً، ومحارباً، وظلاً. وكيف تهاوت صروح الطغاة، وتقوضت أركان الجبابرة بسيفه الذي طالما كشف الكرب عن وجه جده الرسول ﷺ، فقال عنه جبرائيل بين السماء والأرض:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

فكان ينطبع كل ذلك في ذهن الحسن وهو لم يتجاوز السادسة من عمره، ويقتبس منها روح البطولة والشمم، ويحتفظ بها ليوم الكريهة، فهو شبل علي الكرار، والفارس المغوار.

كان الحسن يسمع ويعي ما يقوله الله في محمد رسول الله ﷺ:

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم.....﴾[1].

وما يقوله جده العظيم ﷺ في حق أبيه علي:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»[2].

و«لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي».

وعلى هاتين الركيزتين كان يستقبل أيامه الأولى بين جده محمد، وأبيه علي عليه السلام، وإذا عاد إلى البيت كانت فاطمة الزهراء ـ سيدة نساء العالمين ـ ترعاه وتربيه، ومن مجموع ذلك يصاغ الحسن المجتبى صياغة إيمانية لتعكس جوهر هذا البيت الذي طهره الله من الشرك، وأبعده عن الرجس.

وقبل أن يرحل الجد العظيم عن آفاق هذا البيت الكريم من دنياه إلى ربه، يجمع الحفيد حصيلته من ميراث جده النبي ﷺ،وإذا هي خير ما في الدنيا وخير الآخرة:

١ ـ قال البراء بن عازب[3]: «رأيت رسول الله ﷺ واضعاً الحسن بن علي على عاتقه، وهو يقول: اللهم أني أحبه فأحبه»[4]. وفي رواية:

---

١ ـ سورة آل عمران ـ آية: ١٤٤.

٢ ـ المفيد ـ المصدر المتقدم: ١ / ٣٣.

٣ ـ البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، ابو عمارة، صحابي جليل، غزا مع رسول الله (ص) خمس عشرة غزوة توفي عام ٧١هـ . ترجمه: ابن سعد ـ الطبقات: ٤ / ٨٠ والزركلي ـ الاعلام: ٢ / ٤٦ طبع بيروت دار العلم للملايين١٩٨٦ (الطبعة السابعة).

٤ ـ احمد بن حنبل ـ المسند: ٤ / ٢٩٢ طبع وفي هذا المضمون وردت روايات عديدة رواها جل من تناول موضوع الإمام الحسن ×.

«إني أحبه، وأحب مَن يحبه»[1].

٢ ـ عن أبي بكرة[2] أن النبي قال عن الحسن بن علي: «إنه ريحانتي من الدنيا»[3].

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري[4] إن النبي قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[5].

٤ ـ وقال ﷺ: «أبناي هذان (الحسن والحسين) إمامان إن قاما أو قعدا»[6].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكريمة، والتي كانت ميراثاً ضخماً لو قيست بكل مواريث الأمة، أنه من محمد رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى. والذي باهل به وبأبيه وأمه وأخيه الحسين يوم اجتماع نصارى نجران فجاء في كتاب الله ذكر لهم ـ سيمر علينا في هذا الفصل حديث عن المباهلة لعلاقتها بالإمام الحسن عليه السلام ـ.

---

١ ـ ابن حنبل ـ المصدر السابق: ٤ / ٥٣٢.

٢ ـ ابو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة، صحابي، من أهل الطائف، أعتزل الحرب مع الإمام علي في الجمل وصفين، وتوفي بالبصرة عام ٥٢هـ .ترجمه ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ١٠ / ٤٦٩ والزركلي ـ الاعلام: ٨ / ٤٤ .

٣ ـ ابن حنبل ـ المصدر المتقدم: ٥ / ٥١.

٤ ـ أبو سعيد الخدري، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، صحابي روى عن النبي (ص) أحاديث كثيرة، كما غزا معه عدة غزوات، توفي بالمدينة عام ٧٤هـ ، وكانت ولادته ١٠ قبل الهجرة.ترجمه: ابن حجر ـ المصدر السابق: ٣ / ٤٧٩ والزركلي ـ الاعلام: ٣ / ٨٧ .

٥ ـ ابن حنبل ـ المصدر السابق: ٣ / ٣و٦٢و٦٤ و٨٢ .

٦ ـ محمد بن محمد النعمان المعروف بـ (المفيد) ـ الارشاد: ١٨١ وراجع ابي الفضل الطبرسي ـ مجمع البيان: ١ / ٤٥١.

ومن أصحاب الطهر الذين قال عنهم صاحب العزة: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[1].

ومن القربى الذين أمر الله بمودتهم، وجعلها أجراً لرسالته، حيث قال عز من قائل: ﴿ قل لا أسالكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾[2].

وأخيراً، إنه أحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله ﷺ في أمته بقوله: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً»[3].

كان الحسن هو أحد المقصودين في الآيات والروايات فيما نقلناه، وهو ﷺ بذلك يحاول أن يركز في أذهان الأمة مكانة حفيديه ـ الحسن والحسين ـ عند الله سبحانه، وقد أوضح ذلك في قوله مرة: «مَن أحبني فليحبه (أي: الحسن) فليبلغ الشاهد الغائب»[4]. ولعلها مؤشرات ليوم قريب يلمّ بالحسن عليه السلام.

وهو في فترة حياة جده، رغم أنها تحددت في دور صباه، لكنه كان فيها سوياً في ذكائه، ومثلا في انتباهه لما يحدث في تلكم الأيام القاسية من جهاد جده الرسول الأعظم فترسم ظلالها في مخيلته، وتبقى شاحبة كفرخ لملم نفسه في أحضان أمه.

ونستطيع أن نحدد فترة حياة الإمام الحسن عليه السلام مع جده الرسول ﷺ في هذه الفترة القصيرة التي لا تتجاوز الخمس سنوات

---

١ ـ سورة الأحزاب ـ آية: ٣٣

٢ ـ سورة الشورى ـ آية: ٢٣

٣ ـ المتقي الهندي ـ كنز العمال: ١ / ٤٤ طبع حيدر آباد ـ الهند

٤ ـ ابن حنبل ـ المسند: ٥ / ٣٦٦

بأهم إشارات يمكن أن تجلي موقع الحسن المستقبلي، وكيف هيأ سبطه لمرحلة لها شأنها في حياة هذا الإمام المظلوم، وهي بإيجاز:

١ ـ المباهلة:

تقول الرواية عن المباهلة:

ولما انتشر الإسلام بعد الفتح، وقوى سلطانه، وفد إلى النبي ﷺ أسقف نجران في ثلاثين رجلا من النصارى، فسأل الأسقف: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي ﷺ: «عبد الله اصطفاه وانتجبه»، فقال الأسقف: أتعرف له ـ يا محمد ـ أباً ولده؟ فقال النبي ﷺ: «لم يكن عن نكاح فيكون له والد»، قال: فكيف؟ قلت: إنه عبد مخلوق؟ قال: أنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات الكريمة: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾[1]. فتلاها النبي ﷺ على النصارى ودعاهم إلى المباهلة، وقال: إن الله عز اسمه أخبرني أن العذاب ينزل على المبطل عقب المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك. واتفق رأيهم على انتظاره إلى صبيحة غدٍ من يومهم ذلك. ولما رجعوا إلى أصحابهم وتشاوروا فيما بينهم، فقال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غدٍ، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء.

---

١ ـ سورة آل عمران ـ آية: ٥٩ ـ ٦١.

فلما كان من الغد جاء النبي ﷺ آخذاً بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ تمشي خلفه.

وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي ﷺ بمَن معه، سأل عنهم، فقيل له: هذا ابن عمه علي بن أبي طالب وهو صهره وأبو ولده وأحب الخلق إليه، وهذان الطفلان ابنا ابنته من علي، وهما من أحب الخلق عليه، وهذه الجارية بنته فاطمة أعز الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه.

فنظر الأسقف إلى أصحابه، وقال لهم: انظروا إليه قد جاء بخاصته من ولده وأهله ليباهل بهم واثقاً بحقه، والله ما جاء بهم وهو يتخوف الحجة عليه، فاحذروا مباهلته، والله لولا مكان قيصر لأسلمت له، ولكن صالحوه على ما يتفق بينكم وبينه، وارجعوا إلى بلادكم وارتأوا لأنفسكم. فقالوا له: رأينا لرأيك تبع. فقال: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكنا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به.

فصالحهم النبي ﷺ، وكتب لهم كتاباً بما صالحهم عليه[1].

٢ ـ حديث الكساء:

تقول الرواية عن حديث الكساء:

«روت أم سلمة[2](رضي الله عنها): إن النبي ﷺ بينا ذات يوم

---

١ ـ المفيد ـ المصدر المتقدم: ١ / ١٦٦ ـ ١٦٨.

٢ ـ أم سلمة، هند بنت سهيل المعروف بابي أمية، ويعرف بزاد الراكب بن المغيرة بن مخزوم، من زوجات النبي (ص) تزوجها في السنة الرابعة للهجرة، وتصفها المصادر: أنها من أكمل النساء

جالساً إذ أتته فاطمة ﷺ ببرمة[1] فيها عصيدة[2] فقال النبي ﷺ: أين علي وابناه؟ قالت: في البيت. قال: ادعهم لي. فأقبل علي والحسن والحسين بين يديه وفاطمة أمامه، فلما بصر بهم النبي ﷺ تناول كساء كان على المنامة[3] خيبرياً[4] فجلل به نفسه وعلياً والحسن والحسين وفاطمة، ثم قال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي؟ أحب الخلق إليّ فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فأنزل الله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾»[5].

وردت هذه الرواية من عدة طرق، ولكنها في مضمون واحد، وبالخصوص تحافظ على النص المشار إليه باختلاف بسيط[6].

٣ ـ بيعة رسول الله ﷺ لهما:

يقول الشيخ المفيد[7]:

عقلا، وخلقاً، ومن الموالين بحب أهل البيت، ولدت ٢٨ قبل الهجرة، وتوفيت عام ٥٩ هـ كما نقل ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٨ / ٦٧ طبعة ليدن، والزركلي ـ الاعلام: ٨ / ٩٧.

[1] ـ البرمة القدر من الحجر.

[2] ـ العصيدة: دقيق يلي بالسمن ويطبخ.

[3] ـ موضع النوم ثوب ينام فيه.

[4] ـ خيبري صفة للكساء، أي انه صنع خيبر.

[5] ـ سورة الاحزاب ـ آية: ٣٣ .

[6] ـ المجلسي ـ بحار الانوار: ٢٥ / ٢٣٩ الطبعة الثانية المصححة مؤسسة الوفاء\ ـ بيروت ١٩٨٨.

[7] ـ الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، أبو عبد الله المفيد، ويعرف بابن المعلم من أعلام محققي الامامية انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، ولد في عكبر(قرب بغداد) عام ٣٣٦هـ ونشأ وتوفي في بغداد عام ٤١٣ هـ له نحو مائتي مصنف، وكانت له مكانة كبرى لدى البويهين وخاصة عضد الدولة. ترجمه: الزركلي ـ الاعلام: ٧ / ٢١، والخونساري ـ

«وكان من كمالهما (الحسن والحسين) وحجة اختصاص لهما ـ بعد الذي ذكرناه من مباهلة رسول الله ﷺ بهما ـ بيعة رسول الله لهما، ولم يُبايع صبياً في ظاهر الحال غيرهما، ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة لهما على عملهما مع ظاهر الطفولة فيهما، ولم ينزل بذلك في مثلهما»[1].

ويوضح ذلك الشيخ المفيد الخبر المتقدم بما يلي:

«قال عز اسمه في سورة هل أتى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا* إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا* فوفاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾[2]، فعمهما هذا القول مع أبيهما وأمهما ﷺ، وتضمن الخبر نطقهما في ذلك وضميرهما الدالين على الآية الباهرة فيهما، والحجة العظمى على الخلق بهما، كما تضمن الخبر عن نطق المسيح ﷺ في المهد وكان حجة لنبوته واختصاصه من الله بالكرامة الدالة على محله عنده في الفضل والمكانة»[3].

هذه الأمور الثلاثة ـ المباهلة، والكساء، والبيعة ـ إلى جانب الروايات العديدة لم يرسلها رسول الله ﷺ عبثا إنما يريد من خلالها كشف مكانة الإمام الحسن ﷺ للأمة في غده المرتقب. وإن قيادة

روضات الجنات: ٤ / ٢٤.

١ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ٢٩ ـ ٣٠.

٢ ـ سورة الانسان (هل أتى) ـ آية: ٨ ـ ١٢.

٣ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ٢٩ ـ ٣٠.

الأئمة للمجتمع الإسلامي لا يخضع لوضع معين يتحكم فيه إنسان العصر، بل هو أمر إلهي لا شأن ولا دخل لإرادة البشر فيه، ولاشك أن النبي ﷺ حين خرج للمباهلة مع نصارى نجران لم يكن من عنده وإنما بأمر من الله سبحانه وإرادته، وطبيعي لمثل الحسن والحسين أن يخصهما الله بالنضج والكمال، وإشهادهما بيعة الرضوان تؤكد هذه الحقيقة التي حباهما الله بهذه المكرمة، بالإضافة إلى تقرير النبي ﷺ بنسبتهما إليه مع أنهما ابني ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

إن الحسن حين ودع جده الرسول الأعظم ﷺ وهو ينتقل إلى الرفيق الأعلى في صفر أو ربيع الأول عام الحادي عشر من الهجرة كان عمره الشريف حوالي الثمان سنين، وبهذا العمر يستطيع الإنسان أن يعيش كل حوادث عصره، خاصة إذا كان الإنسان سوياً، ولا نستكثر على سبط الرسالة ونبعة الكرامة من علي وفاطمة أن لا يكون ذلك الإنسان السوي الذي بلغ درجة الكمال دون الحلم، فالحسن جوهرة الخَلقة، حيث يشبه جده رسول الله خلقا وخُلقاً وكفى!!

(٢)

مع أبيه الإمام علي عليه السلام

وتترى الحوادث على بيت علي وفاطمة ـ عليهما السلام ـ مرهقة مؤلمة، ابتداء من وفاة النبي صلى الله عليه وآله وحتى وفاة فاطمة الزهراء، وهي مدة رغم قصرها فقد حملت في طياتها ما يشيب منها الصغير، والحسن ليس بمعزل عنها يدور مع أبيه حيثما انتقل ودار، ويشارك أمه فاطمة في ضرائها وسرائها.

لم يكن بالسهل اليسير على هذا البيت الطاهر أن «سقيفة بني ساعدة» عقدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة ليبرم فيها أمر كان لعلي بن أبي طالب بأمر الله بلغه النبي صلى الله عليه وآله بعد حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة عند «غدير خم» للمسلمين حين أخذ منهم البيعة قائلاً: «فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ مَن والاه وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره، واخذل مَن خذله»[1]. فيصبح أبو بكر بمبايعة عدد من الأنصار والمهاجرين خليفة، على أساس أن قريشاً لم ترغب أن تجمع لبني هاشم النبوة والإمامة ـ كما قال الخليفة عمر بن الخطاب ـ . ولم

---

١ ـ لزيادة الاطلاع راجع: المفيد ـ الارشاد: ١ / ١٧٤ ـ١٧٨ والاميني ـ الغدير الجزء الاول من موسوعته الشهيرة» الغدير».

يقتصر الأمر على هذا فحسب بل تعدى إلى إرغام علي بن أبي طالب على البيعة للخليفة المنتخب من قبل المجاميع التي ضمتهم السقيفة، وما كان فيها من اعتداء صارخ على بيت النبوة حين أرغم علي عليه السلام على الحضور لمسجد النبي صلى الله عليه وآله للبيعة، وان كانت بالجبر والإكراه[1]، ثم ما حصل لفاطمة الزهراء عليها السلام من ضربها وإسقاط الجنين منها[2].

كان الحسن عليه السلام على وعي كامل لهذه المرحلة الخطيرة، والتي انتهت إلى أن يثقل بيت الإمام علي بالحزن المروع حين فقد ربة البيت، تلك الزوجة الطاهرة العطوفة، والأم الشفيقة الحنونة، بعد أيام مثقلة بالمآسي والعنف واللوعة والرعب عصفت ببيت فاطمة، وتجدد حزن الأمس على الجد الراحل، ولوعة فراق الأم الرءوم يثير كوامن الألم وعميق الثكل.

ويحاول الأب المفجوع بالزوجة الطاهرة تضميد قلوب أولاده المرهقة بصعاب المأساة، وأنى لرجل مثكول قبل ولده أن يصبرهم على مرّ الفراق، وهم اليتم، وهول المواقف التي اجتاحت أفراد هذا البيت، ولكن أبا الحسن رغم حسراته المتناثرة على بضعة المصطفى، وآلامها جراء الظلم والجفاء الذي مض بها في الفترة التي عاشتها بعد وفاة أبيها ـ كان يعوضهم الحنان والعطف الكبيرين، ويصبرهم على تحمل المصاعب والمشاق التي تمر بهم، إضافة إلى معاناة الأب في موقف «السقيفة» وما استتبعه من غصب حقه، وغمط دوره الأساس في قيادة الأمة في مسيرتها الدينية والتاريخية من جهة أخرى.

---

١ ـ للاطلاع راجع الاميني ـ المصدر المتقدم الجزء الاول منه.

٢ ـ ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة: ١ / ١٢ ـ١٣، وتاريخ الطبري: ٣ / ٢٠٢ ط / دارالمعارف القاهرة.

ومرت أربع وعشرون سنة من تاريخ وفاة رسول الله ﷺ عام ١١هـ إلى مقتل عثمان بن عفان عام ٣٥ هـ كان الحسن فيها لأبيه ساعده الأيمن، يعاني ما يعانيه أبوه من قومه الذين قابلوه بالجفاء والظلم، ويشاركه في المهام والخطوب كإنسان بلغ من النضج الفكري، والعمق السياسي ما أهله لمشاركة والده في مسيرة الحكم، والمهام الصعبة الملقاة على عاتقه وحفظها بعد مخاض عسير طالت عهود السابقين من الذين تحملوا مسؤولية الحكم، وتسديد أدوار الخلفاء الثلاثة، رغم إصرارهم على إبعاده عن تحمل مسؤوليته القيادية، مع علمهم أنه أهل لها، على حد قول الخليفة عمر بن الخطاب حيث يقول: «والله لو تولاها (أي الخلافة) ابن أبي طالب لحملكم على المحجة البيضاء».

كان للحسن موقف واضح في هذه الفترة المكتظة بالأحداث خاصة في عهد الشيخين وموقفهما من علي ﷺ رغم اعتزاله في بيته، فإنه كان يعيش تلكم الأحداث بروح كبيرة كما يعيشها أبوه علي ﷺ، ويعرف مغزى قول والده: «إن محلي منها محل القطب من الرحى».

وحين كان يهدر كأنه الشلال في خطبته الشقشقية فيقول:

«أما والله لقد تقمصها فلان، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى: ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهبا، حتى إذا مضى الأول لسبيله

فأدلى بها إلى فلان بعده. ثم تمثل بقول الأعشى[1]:

شتان ما يومي على كورها ويـوم حيـان أخـي جابـر

فيا عجباً!! بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضريعها...»[2].

كان الحسن إلى جانب والده في هذه المحنة الكبيرة، فهو بين عاملين لا ثالث لهما، إما أن يشجع والده على مقاطعة القوم مهما كلف الأمر، أو يهدئ من لوعة أبيه، وطبيعة آل البيت واحدة لا تعرف الغدر ولا التصالح على حساب المبادئ.

ومضت أيام خلافة عمر والحسن ظل أبيه معه في حله وترحاله، وإذ دعـت الحاجـة إلـى تصحيح الحكـم الشرعي فلا يبخل علي بذلك عليه، «فلولا علي لهلك عمر» قالها الخليفة عمر وبصورة علنية، ويقول مرة أمام عبد الله بن عباس[3]: «إن قريش لم ترغب أن تجمع في

---

١ ـ الاعشى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، المعروف بالأعشى الكبير من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، أدرك الإسلام ولم يسلم، حيث توفي عام ٧هـ . ترجمه: أبو الفرج ـ الاغاني: ٩ / ١٠٨ طبعة القاهرة دار الكتب، والزركلي ـ الأعلام: ٧ / ٣٤١ .

٢ ـ راجع الخطبة كلها في نهج البلاغة ـ شرح محمد عبده: ١ / ٢٥ ـ ٣٣ طبع القاهرة مطبعة الاستقامة.

٣ ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن العباس، ولد عام ٣ قبل الهجرة بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة ولازم رسول الله، وابن عمه علي بن أبي طالب، وشهد مع الإمام علي الجمل وصفين، وكف بصره في أواخر عمره فسكن الطائف، وتوفي عام ٦٨هـ بها. قال ابن مسعود: نعم ترجمان القران ابن عباس. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال، والحرام، والعربية، والانساب، والشعر. سئل يوما ما مدى علمك من علم ابن عمك علي، قال: نسبة القطرة في البحر المحيط. فعلي بحر لا ينضب. ترجمه ابن حجر ـ الاصابة ت: ٤٧٧٢ والزركلي ـ الاعلام: ٤ / ٩٥ .

بيتكم النبوة والإمامة»[1].

ومرت الأيام والخليفة عمر على بساط الموت، ويطلب منه ولده عبد الله[2] أن «يستخلف على أمة محمد ﷺ، فإنه لو جاءك راعي غنمك، وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمته، وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة؟! فكيف بأمة محمد ﷺ فاستخلف عليهم....»[3].

رأى الخليفة عمر أن يجعلها شورى في أشخاص، هم: الزبير بن العوام[4]، وطلحة بن عبيد الله[5]، وسعد بن أبي وقاص[6]، وعبد الرحمن

---

١ ـ الطبري ـ تاريخ الامم والملوك: ٥ / ٣١وابن الاثير ـ الكامل في التاريخ: ٣ / ٣١ ولزيادة الاطلاع على الحوار الذي جرى بين ابن عباس والخليفة عمر يراجع محمد بحر العلوم ـ في رحاب ائمة آل البيت الامام أمير المؤمنين علي: ١٠١ ـ١٠٣ / طبع بيروت دار الزهراء ١٩٨٠.

٢ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، ابو عبد الرحمن صحابي، ولد بمكة عام ١٠ قبل الهجرة ونشأ فيها وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وكف بصره في آخر حياته توفي بمكة عام ٧٣هـ، تصفه المصادر: إنه كان جريئاً جهيراً، ذكر: أنه قال: لولا أن معاوية بالشام لسرني أن آتي بيت المقدس، فاهل منه بعمرة، ولكني أكره أن آتي الشام فلا آتي معاوية، او آتيه فيرى اني تعرضت لما في يديه. ترجمه ابن سعد ـ الطبقات: ٤ / ١٠٥ ـ ١٣٨ والزركلي ـ الاعلام: ٤/ ١٠٨.

٣ ـ المسعودي ـ مروج الذهب: ٢ / ٢٢١.

٤ ـ الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، ابن عمة النبي (ص)، ولد ٢٨ قبل الهجرة، أبو عبد الله صحابي، كان موسرا كثير المتاجر، خلف أملاكا بيعت بنحو أربعين مليون درهم، خرج مع عائشة يوم الجمل، قتله ابن جرموز غيلة على مقربة من البصرة عام٣٦هـ في حرب الجمل. ترجمه: حلية الأولياء: ١ / ٨٩ والزركلي ـ الأعلام: ٣ / ٤٣.

٥ ـ طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ولد ٢٨ قبل الهجرة، صحابي، من دهاة قريش، وكانت له تجارة وافرة، خرج مع عائشة يوم الجمل وقتل فيها عام ٣٦هـ ودفن بالبصرة.ترجمه: ابن سعد ـ المصدر المتقدم: ٣ / ١٥٢ والزركلي ـ الأعلام: ٣ / ٢٢٩ .

٦ ـ سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي، أبو إسحاق، صحابي فاتح العراق، ومدائن كسرى، ولد ٢٣ قبل الهجرة، عين من قبل عمر والياً على الكوفة، وعزله عثمان عنها فعاد

بن عوف[1]، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب.

ويتحدث عن هؤلاء المرشحين الست ـ أعضاء الشورى ـ حتى يصل الحديث لعلي، فيقول عنه: «لله أنت لولا دعابة فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء»[2].

ثم أمر أن يُحضروا مجلس الانتخاب شيوخ الأنصار، وقال: «ليس لهم من أمركم شيء، واحضروا معكم الحسن بن علي، وعبد الله بن عباس فإن لهما قرابة، وأرجو لكم البركة في حضورهما، وليس لهما من أمركم شيء....»[3].

ولم يكتفِ الخليفة بهذا، بل التفت إلى أبي طلحة الأنصاري[4] وقال له:

«إن الله أعز الإسلام بكم فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فالزم هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتنفيذه...».

إلى المدينة، ومات في قصره بالعقيق على أميال من المدينة عام٥٥هـ . ترجمه: ابن سعد ـ المصدر السابق: ٦ / ٦ والزركلي ـ الأعلام: ٣ / ٨٧ .

١ ـ عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث القرشي صحابي ولدعام ٤٤قبل الهجرة، وكان يحترف التجارة والبيع والشراء فاجتمعت له ثروة كبيرة، توفي بالمدينة عام ٣٢هـ ترجمه: ابن حجر ـ الاصابة: ترجمة ٥١٧١، والزركلي ـ الاعلام: ٣ / ٣٢١ .

٢ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١ / ١٨٥ ـ ١٨٦.

٣ ـ ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة: ١ / ٢٤.

٤ ـ أبو طلحة الانصاري زيد بن سهل النجار، شهد مع النبي (ص) بدراً، ولما آخى النبي (ص) بين أصحابه آخى بينه وبين أبي عبيدة الجراح، وكان أبو طلحة من الرماة المعدودين، ومن الشجعان المشهورين، قتل يوم حنين عشرين رجلاً، وتزوج بأم أنس بن مالك، توفي بالمدينة سنة أحد وثلاثين، وكان عمره سبعين عاماً. راجع ترجمته أسد الغابة: ٥ / ٣٣٤ والزركلي ـ الاعلام: ٣ / ٥٨.

ثم التفت إلى المقداد بن الأسود[1] فأوصاه بمثل ذلك، ثم قال:

«إذا اتفق خمسة، وأبى واحد منهم فأضربوا عنقه، وأن أتفق أربعة وأبى اثنان فأضربوا عنقيهما، وأن أتفق ثلاثة منهم على رجل ورضي ثلاثة منهم برجل آخر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس»[2].

ولعل الكثيريين عرفوا النتيجة قبل أن يتم عرض الأمر على أعضاء الشورى خاصة إذا عرفنا أن عبد الرحمن هو صهر عثمان بن عفان، ولكن لابد من إجراء الشكليات للقضية، وعمر نفسه يقول لعثمان:

«كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك فحملت بني أمية، وبني أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك ذبحاً. والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن

---

١ ـ المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الاسود الكندي الحضرمي أبو محمد، ولد عام ٣٧ قبل الهجرة صحابي جليل، وصفته المصادر بانه من الابطال، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول مَن أظهر الاسلام، وهو أول مَن قاتل على فرس في سبيل الله، وفي الحديث: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم: علي، والمقداد، وابو ذر، وسلمان» ،كان في الجاهلية من سكان حضرموت، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة البهراني الكندي، ووقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة، فتبناه الاسود بن عبد يغوث الزهري فصار يقال له: «المقداد بن الاسود»إلى أن نزلت آية﴿ادعوهم لآبائهم ﴾ (الاحزاب ـ آية ٥) فعاد يسمى«المقداد بن عمرو». وشهد بدرا وغيرها، وكان من الموالين لعلي ×، وسكن المدينة، وتوفي على مقربة منها، فحمل إليها ودفن فيها عام ٣٣هـ . ترجمه ابن حجر ـ الاصابة ت٨١٨٥ ، وتهذيب التهذيب: ١٠ / ٢٨٥ ، والزركلي ـ الاعلام: غ٧ / ٢٨٢.

٢ ـ الطبري ـ المصدر المتقدم: ٥ / ٣٥ .

فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته، فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي...»[1].

وتم الانتخاب كما رسمه عمر، وكانت النتيجة أن عثمان خليفة على المسلمين ولم يكن الحسن بمعزل من السيناريو الذي تعهد على إخراجه ابن عوف لما له من موجدة على آل بيت محمد ﷺ، وطواها المجتبى في نفسه رغم ما فيها من جزع لما حدث، وشد عينه بعين والده الإمام علي هل يثأر ويقلب اليمين على اليسار، أو يسكت عن حقه المضام؟. إن عليا لا يرغب أن يثيرها فتنة هوجاء يحترق فيها الصغير قبل الكبير، ليحفظ بيضة الإسلام كما حفظها في عهد الشيخين.

كان عهد الخليفة الثالث أكثر مشاكل وهامة من سابقيه فقد تم الأمر كما تكهنه عمر بن الخطاب فيه، وغرق في دوامة بني أمية، وآل أبي معيط، وأصبح الخليفة أداة طيعة بيد مروان بن الحكم[2] يوجهه

---

[1] ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ١ / ١٨٥ ـ ١٨٦

[2] ـ مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الملك، ولد بمكة عام ٢ هـ ونشا بالطائف، أدرك النبي وهو صبي، ولما طرد النبي أباه الحكم من المدينة لأنه كان يؤذيه كان معه ولده مروان، فلم يزل فيها إلى أيام عثمان حيث رده إلى المدينة، وأدت هذه المخالفة من عثمان لامر النبي إلى نقمة المسلمين عليه، وقربه عثمان إلى درجة كانت من اسباب الثورة على الخليفة، وخرج مع عائشة في حربها على الشرعية مطالبين بالثأر لدم عثمان، ولما انكسر جيش عائشة توارى عن الأنظار خشية أن يظفر به علي فيقتله، ولما كانت صفين خرج إلى معاوية يحارب معه علياً ×، وولي أمر المدينة حين تولى الحكم معاوية، وقد أخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام ولما تولى يزيد الحكم أرجعه على المدينة، وثب أهل المدينة على مَن فيها من بني أمية فأجلوهم إلى الشام، ثم عاد على المدينة وكانت حوادث المدينة في عهد يزيد بقيادته، وكان يثير المشاكل على آل رسول الله، ولما مات يزيد انتقل إلى الشام وسكن فيها ولما مات يزيد، واعتزل الحكم ولده معاوية، وحدثت فوضى في الشام دعا إلى نفسه فبايعه أهل

حيثما أراد. فتعالت الاحتجاجات، وانتشرت النقود اللاذعة للخليفة في إدارته المرهقة للمسلمين، وانفعلت النفوس ضغنا وموجدة على عثمان، فأزت العاصفة، ولم ينفع مع المعارضة كلام الإمام علي، ومحاولاته المتكررة لإصلاح الوضع المتهيج ضد الخليفة، وعلي يخشى الواقعة، وتقول بعض المصادر بان الحسن مع جماعة من أصحابه ذهبوا لحماية الخليفة من شر نواه المسلمون عليه، وأنكر آخرون ذلك[1]. وكيفما كان فقد أطبق الثوار عليه، وقتلوه، وانتهى بذلك عهد عثمان.

الشام سنة ٦٤هـ وكان مؤسس دولة بني مروان، وأول مَن ملك من بني مروان عام٦٥هـ. ترجمه الاصابة: ترجمة ٨٣٢٠ ، والطبري ـ المصدر السابق: ٧ / ٣٤و٨٣ ، والزركلي ـ الاعلام: ٧ / ١.٢٠٧ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ١ / ٣٠٢

(٣)

وشارك أباه في المسؤولية

وإذا كانت قريش لم يسهل عليها أن تجمع النبوة والخلافة في بيت هاشم، وفعلاً كان الأمر لا يخرج عن إطار هذا الواقع المرّ الذي لازم أهل الحل والعقد عدى صفوة قليلة تجاوزت هذه العقدة النفسية، والغلواء الشخصي الملفع بالعنجهية الجاهلية. فقد مرت على الإمام الحسن عليه السلام هذه الحفنة من السنين القاسية، وعاش أحداثها وغص بمرها، وبذل طاقته وإمكاناته في سبيل تصحيح المسيرة كلما ألمّ بها عارض، أو هز أرجائها طارق خبيث.

وبعد مقتل الخليفة عثمان عام ٣٥هـ ، تنادى المسلمون من كل حدب وصوب: ليس لها غير «أبو الحسن علي» فهو قطب رحاها، وقائد مسيرتها، ولم يرض الإمام بها ودفعها عنه بحزم، وهو في دفعها عنه صادق حازم، كفاه ما سلف من إعراض وجفاء، أبعد ذلك كله ترون ليس لها إلا أبو الحسن علي؟ ولكن الحسن ينضم إلى الطالبين يده للبيعة، لم تكن محض عاطفة من الولد المؤمن بأهلية أبيه، وأحقيته بها، إنما هو الدافع الديني له ولأهل بيته والصفوة من أصحابه، ولكن الإمام يصر على عدم قبولها تجنباً للمشاكل التي سوف تتفجر حين تسلمه الأمر، ولا يريد لأمة الإسلام صراعاً جديداً، وجرح الأمس لما يندمل.

ولكن للإصرار نهاية عند الإمام علي، وضغوط الجماهير عليه تتوالى كأنها السيل فلابد من الرضوخ لها مكرها أو راضيا، وقبل أن يتسلم الأمر حذرهم قائلاً:

«دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولا أصغِ إلى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمَن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً»[1].

وقالوا بلسان واحد: ما نحن بمفارقيك يا أبا الحسن حتى نبايعك.

وتدافع القوم عليه من كل جانب يطالبونه بالبيعة، ويؤكدون إصرارهم عليه، ويصف عليه السلام انهيال الناس عليه، فيقول:

«فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ ينثالون عليّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاي[2]، مجتمعين حولي كربيضة الغنم»[3].

وتتطلع العيون إليه ماذا سيقول هاهي الجماهير متعلقة به للبيعة، أيخضع للأمر الواقع؟

الناس ينتظرون خطاب المبايعة بلهفة البعض، وجزع الآخرون، كلهم على معرفة تامة بالإمام علي عليه السلام لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

١ ـ محمد عبده ـ نهج البلاغة: ١ / ١٨٢ .

٢ ـ المراد من الكلمة «شق عطفاي» أنه خدش جانباه من كثرة زحام الناس عليه من أجل البيعة.

٣ ـ محمد عبده ـ نهج البلاغة: ١ / ٣١ .

ويرقى علي عليه السلام المنبر والعيون مشدودة إليه والأفكار مضطربة لما سيقوله، وقلوب هلعة من مستقبل قد يضر بمصلحة الطبقية والإيثار الذي ناله الناس من الخليفتين عمر وعثمان، وآمال تدور بين الفرحة والانتحار، ثم ينحدر علي عليه السلام كالطود يقول في خطبته:

«أيها الناس، إنما أنا رجل منكم، ليّ ما لكم، وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمرت به.

ألا أن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال. فإن الله لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وملك الإماء، وفرق في البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، ومَن ضاق عليه الحق، فالجور عليه أضيق...

فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء»[1].

بهذه الكلمات الموجزة أفصح الإمام عن خطاب توليه المسؤولية، ويكفي أن يذهب أصحاب الضمائر المريضة والمصالح الشخصية إلى بيوتهم وعيونهم دامعة وقلوبهم متوجرة، لقد تجهمت وجوه أولئك الذين ميزتهم «طبقية الخليفة الثاني» التي منحها لهم دون غيرهم من المسلمين، والقوم كلهم سواسية كأسنان المشط.

إن السبل «التوصلية» لنهب أموال المسلمين، و«استغلال» خزينة الدولة لصالح فئة معينة لا يمكن أن تجد لها مسربا في عهد أبي الحسن علي عليه السلام، وهذه القضية المهمة لدى الإمام شكلت على ضوئها

---

١ ـ محمد عبده ـ نهج البلاغة: ١ / ٤٢ وهامش ٣ نفس الصفحة.

معسكرين رئيسين: واحد مع الإمام يؤيد الرأي، ويلتزم العمل به. والثاني يرفض القول والعمل بذلك لأنه يضر بمصالحه، ويحد من أطماعه.

ولم تمر فترة على هذا الموقف إلا والتهبت النفوس بالصراع المحموم، يتفجر عن حقد من جانب، ويتجاوب حماساً لدعم المشروع من جانب آخر، يشتد ويضعف، ولكن بالنتيجة حروباً دامية، وصراعاً مريراً تجسد في ثلاثة حروب أرهقت المتحاربين من كل صوب: يوم باسم الجمل، وثان باسم صفين، وثالث باسم النهروان. هذه الحقبة المؤلمة عاشها المسلمون خلال هذه الحروب، يمكن أن نطلق عليها من أشد أيام «المحنة» في عهد الإمام علي.

كان الحسن في هذا الخضم الهائج يعيش عاملين مهمين:

الأول ـ وصول القيادة الأساس للحكم لتصحيح المسيرة، والجميع يعترف بأن علياً الحاكم الذي يحمل الأمة على الطريق السليم للمسيرة الرسالية.

الثاني ـ شعور الأمة بوصول الشرعية إلى القيادة الرشيدة، ومدى تفاعلها معها على أساس من الوعي والصدق والإيمان والتضحية والفداء.

إن الرياح كانت تجري على خلاف ما يريده ربان السفينة، فالمحاور المنحرفة بدأت تعرقل المسيرة بلون وآخر حتى بات من الصعب مواصلة القيادة في مسيرتها الإيمانية والإنسانية.

فقد بدأت بحرب الجمل تلك الحرب التي أثيرت من أجل الأطماع والمنافع الخاصة، والتي لا مبرر لها إطلاقا غير ذلك. حيث تجمعت

قوى المعارضة للإمام علي عليه السلام بقيادة: السيدة عائشة، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأعلن العصيان في البصرة، مما أجبر الإمام على التحرك إليهم.

السيدة لها حسابها العسير مع الإمام علي عليه السلام لم يكن بالجديد، بدأ من عهد النبي صلى الله عليه وآله حيث كان يعطي مكانة لعلي أكثر من غيره، ولابنته فاطمة الزهراء زوجة علي أكثر من غيرها، ولا نريد أن ندخل في خضم هذا الحديث، والحديث ذو شجون، وإنما نشير إلى أن زعماء حرب الجمل الثلاثة: عائشة وطلحة والزبير اقتضت مصلحتهم أن يثيروها على الشرعية حرباً شعواء، وخير ادعاء لهؤلاء المطالبة بإصلاح الحال، وطلب قتلة عثمان، وهذا ما يساعد على رضا معاوية بموقفهم، وطالما معاوية وفلول الحاقدين على استعداد لإثارتها على الإمام، وإفشال حكومته مهما كلف الأمر.

كان على الإمام، وهو في مركزه بالمدينة المنورة أن يشرح موقف الثلاثة الخارجين على حكومته بعد مبايعة شرعية من قبل طلحة والزبير، فما الذي عدا مما بدا ـ كما يقول المثل ـ ..

كانت الكوفة يومذاك تضم قبائل عربية لها وجودها في سلسلة الزعامة العراقية، مقابل البصرة التي كانت تزخر بالعشائر العربية، وتقابل قوة الكوفة العشائرية، وقد أتخذ منها القادة الثلاثة للمعارضة مركزاً لهم على أساس أن فيها خطاً عثمانياً موالياً.

وقرر الإمام علي عليه السلام إرسال وفد إلى الكوفة ليشرح لهم موقف الخارجين ضده، ويستنهضهم لمساعدته في رد الخارجين عليه،

وإخماد نار الفتنة، وكان أبو موسى الأشعري[1] والياً عليها، وتغاضى عن المبادرة لاستنهاض المسلمين لإطفاء نائرة الفتنة، ولكي لا تراق دماء المسلمين من أجل فئة لا تخشى الله.

وكان من جملة الرسل الذين أرسلهم الإمام إلى الكوفة ولده الحسن، حيث أوفده مع الصحابي الجليل عمار بن ياسر[2]، والتقى بالجماهير من أهالي الكوفة، وبيّن لهم أهداف الإمام من خروجه إلى ملاقاة الخارجين عليه، فعسى أن تطفئ الفتنة، وإن الإمام لا يطلب إلا الإصلاح، وهو حريص كل الحرص على دماء المسلمين.

---

١ ـ الاشعري، عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى من بني الاشعر صحابي، ولد في زبيد باليمن عام ٢١ قبل الهجرة، وقدم مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة، ولاه عمر على البصرة سنة١٧هـ واقره عثمان عليها إلى أن قتل، وفي عهد الإمام علي ولاه الكوفة، ولما كانت حرب الجمل طلب منه الإمام علي أن يدفع الكوفيين لنصرته، فكان موقفه بالعكس فقد حرض الناس أن يقعدوا عن نصرته ـ فعزله الامام، وفي صفين اختاره بعض من جيش الإمام في التحكيم في صفين ممثلهم فلم يرض الإمام ذلك ولكن الخوارج وبعض زعماء الكوفة أصروا على الإمام في قبوله بلجنة التحكيم فخدعه عمرو بن العاص على خلع الإمام فخدع، وعند ما أكتشف أمر الخدعه هرب إلى الكوفة من غضب جيش علي، وبقي فيها حتى وفاته عام ٤٤هـ . ترجمه: ابن سعد ـ الطبقات: ٤ / ٧٩، وابن حجر ـ الأصابة: ت٤٨٨٩، والزركلي ـ الاعلام ك٤ / ١١٤.

٢ ـ عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، ابو اليقظان، صحابي من السباقين إلى الإسلام، شهد مع النبي بدرا واحدا والخندق وبيعة الرضوان، وكان النبي يلقبه «الطيب المطيب»، وقال عنه (ص): «ياعمار تقتلك الفئة الباغية»، فقتل في صفين عام ٣٧هـ ، وهو أول مَن بنى مسجداً في الإسلام، وقتل والداه في التعذيب بيد المشركين، وأمه أول امرأة قتلت في سبيل الإسلام. ترجمه: ابن حجر ـ الاصابة: ترجمة: ٥٧٠٦، وأبو نعيم الاصفهاني ـ حلية الاولياء: ١ / ١٣٩ ، والزركلي ـ الاعلام: ٥ / ٣٦ .

وتمادى الأشعري في تثبيط عزم الجماهير عن الالتحاق بالإمام. فأمر الحسن بعزله وقال له:

«اعتزل عملنا أيها الرجل، وتنح عن منبرنا لا أم لك...».

وروى المسعودي[1]: إن الذي عزله هو الإمام علي عليه السلام بعد أن عرف عنه يقوم بتثبيط الناس عن اللحاق بإمامهم على أساس أنها هي فتنة، فنمى ذلك إلى علي فولى على الكوفة قرظة بن كعب الأنصاري[2]، وكتب إلى أبي موسى: «اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحوراً، فما هذا أول يومنا منك، وإن لك فينا لهنأت وهنأت»[3].

ولما عزل الأشعري خطب الإمام الحسن في الجماهير، قائلا:

«أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد إلى هذا الأمر من ينفر إليه، والله لئن يليه أولوا النهي أمثل في العاجل والآجل وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم، وأن أمير المؤمنين يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالماً أو مظلوماً، وأني أذكر الله رجلا رعى حق الله إلا نفر، فإن كنت

---

١ ـ علي بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن، من ذرية عبد الله بن مسعود، مؤرخ مشهور بمؤلفاته المتنوعة، من أهل بغداد، وأقام بمصر، وتوفي فيها عام ٣٤٦هـ .ترجمه طبقات الشافعية: ٢ / ٣٠٧وابن تغرى بردى ـ النجوم الزاهرة: ٣ / ٣١٥، والزركلي ـ الاعلام: ٤ / ٢٧٧.

٢ ـ قرضه بن كعب بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، شهد مع النبي (ص) أحدا، وما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب إلى الكوفة لتعليم أهلها، وولاه الإمام على الكوفة، ولما خرج إلى حرب صفين حمله معه، وولاها أبا مسعود البدوي، وشهد مع الإمام جميع مشاهده، وتوفي في خلافته في دار ابتناها بالكوفة، وصلى عليه الإمام.ترجمه الاستيعاب: ٣ / ٢٦٦.

٣ ـ المسعودي ـ مروج الذهب: ٢ / ٣٥٩ ـ طبع بيروت دار الاندلس.

مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ.

والله إن طلحة والزبير لأول مَن بايعاني، وأول مَن غدرا، فهل استأثرت بمال، أو بدلت حكماً؟ فانفروا وأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر...»[1].

تقول الرواية: فأجابه الناس بالسمع والطاعة، وخرجوا ليلتحقوا بركب إمامهم المتوجه إلى البصرة.

وكان له موقف آخر ينبئ عن مكانة معتمدة لدى أبيه الإمام حيث تقول الرواية: إن عبد الله بن الزبير[2] خطب في جمع من البصريين محرضا إلى إثارة الفتنة قائلا:

«أيها الناس، إن علي بن أبي طالب قتل الخليفة بالحق عثمان، ثم جهز الجيوش إليكم ليستولي عليكم، ويأخذ مدينتكم، فكونوا رجالا تطلبون بثأر خليفتكم، واحفظوا حريمكم، وقاتلوا عن نسائكم وذراريكم، وأحسابكم وأنسابكم، أترضون لأهل الكوفة أن يردوا بلادكم، اغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتم، ألا وإن علياً لا يرى معه في هذا الأمر أحداً سواه، والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم».

---

١ ـ راجع الاميني ـ الغدير: ٢ / ٧٦ ـ٧٨ ، والقرشي ـ المصدر السابق: ١ / ٤٣٦ .

٢ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام، أمه اسماء بنت أبي بكر ولد في السنة الأولى من الهجرة، حضر وقعة اليرموك، و ضر مع أبيه وقعة الجمل إلى جانب خالته السيدة عائشة، وبعد موت يزيد بن معاوية بويع له بالخلافة، وذلك سنة٦٤أو٦٥ وخضعت له عدة بلدان، وأرسل عبد الملك بن مروان الحجاج لقتاله إلى مكة، وكان قد اعتصم بالكعبة عام ٦٧، فحاصر ابن الزبير بالبيت، ورموا البيت بالمنجنيق واحرقوه، وقتل عبد الله. ترجمه ابن حجر العسقلاني ـ تهذيب التهذيب: ٥ / ٢١٣ ـ ٢١٤ .

وسمع الإمام علي عليه السلام بخطاب ابن الزبير، فأمر ولده الحسن أن يرد عليه، فقام الحسن عليه السلام خطيباً ـ وبعد حمد الله والثناء عليه ـ، قال:

«قد بلغنا مقالة ابن الزبير في أبي وقولَه فيه: إنه قتل عثمان، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين علمتم بقول ابن الزبير في عثمان، وما كان أسمه عنده، وما كان يتجنى عليه، وأن طلحة يومذاك ركز رايته على بيت ماله وهو حي، فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله وينطقوا بذمه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا.

وأما قوله: إن علياً ابتز الناس أمرهم، فإن أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعة، وأدعى الوليجة فليأت على ما أدعاه ببرهان، وأنى له ذلك؟

وأما تعجبه من تورد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطل.

أما أنصار عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راكبة الجمل وأتباعها...»[1].

ولما لم ير الإمام علي بدا من الحرب بعد أن وعظهم وحاول كبح جماح حرب ضروس، تقدم للحرب وعن يمينه الحسن وشماله الحسين وأمامه محمد بن الحنفية يحمل رايته، ودارت رحى الحرب فيها عاصفة هوجاء تطحن الأخضر واليابس حتى أوصل المؤرخون القتلى إلى عشرة آلاف قتيل تناصفها المتحاربان[2].

---

١ ـ كتاب الجمل: ١٥٨ ـ١٥٩، وابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ١ / ١٤٦ط دار إحياء الكتب العربية.

٢ ـ الطبري ـ المصدر السابق: ٥ / ٢٢٥

ويظهر من تتبع أقوال المؤرخين أن الإمام الحسن ﷺ كان ساعد أبيه الإمام علي في حرب الجمل التي أسفر فيها الخارجون على الشرعية، وكانت النتائج حملة ظالمة ضد الإمام تدفعهم المطامع الشخصية، والآمال الأموية باختطاف السلطة من علي، ولكنهم فشلوا.

وهل انتهت هذه المحاولة الخائبة «للناكثين»، أم تتجدد بعنوان آخر يستهدف فيها مركز الشرعية؟

لقد فشل معاوية في تحريض الناكثين على حرب الإمام، وانتهت تلك الحرب بتمزيق القيادة الثلاثية فمنهم من قتل ومنهم من هزم، وعاد إلى المدينة خاسراً، لكن معاوية لم تهدأ آماله فليجدد العزم بشكل واضح فليعلنها على الشرعية المتمثلة بالإمام علي ﷺ حرباً جديدة. ولم ينته عام ٣٦ للهجرة إلا وتحرك معاوية بجيش الشام نحو مبتغاه.

حاول الإمام تجنيب الأمة الحرب، ولكن معاوية أصر عليها إصراره على مخالفة الشرعية مهما كلف الأمر، واستعد كل من الطرفين للحرب، وكما هو معلوم لسنا في صدد سرد وقائع هذه الحرب وآثارها وما تركت من مآسي، إنما مهمتنا في هذا الموقع أن نرصد موقع الإمام الحسن ﷺ فيها، فقد أثبتت أيام المحنة بحرب الناكثين في البصرة أن موقع الإمام الحسن في الوسط إلى جانب الشرعية محفزاً ومحارباً، أما في حرب «صفين»، فالذي يظهر من السرد التاريخي أن موقفه لا يقل عن موقفه في حرب «الجمل». إنه هو هو لا يختلف عن السابق ما دام يعتقد ـ وبعيداً عن العاطفة ـ أن الشرعية متمثلة بالإمام علي ﷺ تحارب الباطل المتمثل بمعاوية.

ونرى بوضوح، وقد انطلق عدد من صحابة الرسول ﷺ في تحشيد المسلمين للانضواء تحت راية علي عليه السلام والسير لمحاربة الباطل، وفي هذا الخضم كان موقف للإمام الحسن عليه السلام في تجيش الجماهير في الكوفة إلى الاستجابة للإمام والحرب إلى جانبه، وأي موقف خلاف ذلك يكون ضد الشرعية.

تروي بعض المصادر بأن الإمام الحسن خطب في الجماهير يحثهم على مواجهة عدو السلطة العلوية، فقال في خطبته:

«الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك، وأثني عليه بما هو أهله، إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول، ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه قولا يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولاً يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتشدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة، لأنه لم يمتنع (الامتناع: العزة والقوة) قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح (الجوائح: مفردها جائحة، وهي الدواهي والشدائد) الذلة، وهداهم معالم الملة.

ثم أنشد:

والصلـح تأخذ منه ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع[1]

وكما تقدم كان الإمام الحسن ساعد أبيه في حربه الجديدة مع معاوية، ولعلنا نستطيع أن نعرف موقعه في هذه الحرب من بعض الحوادث التي تحدث في مثل هذه المناسبات، ولكنها معالجتها تتوقف على مدى ما يملكه المعالج من حصافة الرأي وقوة الحجة، منها ما تنقله لنا بعض المصادر:

إن الإمام علي عليه السلام كان متأثراً من بعض شيعته الذين لم يلتحقوا به في توجهه إلى البصرة، واعتزلـوا معركة الجمل، وكان منهم الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي[2]، وهو أحد وجوه الكوفة، وحين التقى به ـ بعد انقضاء الحرب ـ واجهه بأعنف العتاب وأشد التقريع، وقال له:

«أرتبت وتربصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم ـ فيما أظن ـ إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك،

---

١ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١ / ٢٨٣، والامام الحسن المجتبى: ٤: ٩٢ ـ٩٣ اصدار المجمع العلمي لأهل البيت، موسوعة أعلام الهداية طبع ايران / قم مطبعة ليلى، ولزيادة الاطلاع راجع القرشي ـ المصدر السابق: ١ / ٤٨٠ ـ٤٨١ والبيت الذي استشهد به الإمام الحسن هو للعباس بن مرداس السلمي كما في خزانة الادب ـ للبغدادي: ٢ / ٨٢ .

٢ ـ سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي روى عن النبي، وعلي، والحسن، أحد وجوه الكوفة، ومن الشخصيات التي كتبت إلى الإمام الحسين بالقدوم إلى الكوفة ثم تخلف عن نجدته، وبعد مقتل الحسين تجمع عدد من الذين تخلفوا عن نصرة الحسين، وقرروا الثأر له وأطلق عليهم لقب «التوابون»، واعلنوا الحرب على الامويين والتقوا مع عبيد الله بن زياد في موضع يقال له «عين الورده» فوقعت الحرب الضروس بينهما، وقتل فيها سليمان عام ٦٥هـ راجع: د.ابراهيم بيضون ـ التوابون طبع بيروت، وابن حجر ـ تهذيب للتهذيب: ٤ / ٢٠٠ .

وما زهدك في نصرتهم؟

وضاق ذرعاً سليمان بتأنيب الإمام له، فقال له:

يا أمير المؤمنين، تردن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبني بما مضى منها، واستبق مودتي تخلص لك نصيحتي، وقد بقيت أمور تعرف فيها وليك من عدوك..».

ثم قام مسرعا إلى الإمام الحسن ليعرض عليه حديث أبيه، فقال له:

«ألا أعجبك من أمير المؤمنين ما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ!!».

وأخذ الحسن يخفف عنه غصة التقريع، وقال له:

«إنما يعاتب مَن ترجى مودته ونصيحته..».

ولكن سليمان بقي على تأثره من شدة العتب، فقال للحسن:

«إنه بقيت أمور سيستوثق فيها القنا، ويمتضى فيها السيوف، ويحتاج إلى أشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تهملوا نصيحتي..».

وأكد الحسن له ثقة والده فيه، وقال له:

رحمك الله، ما أنت عندنا بالضنين...»[1].

هذا الحوار الذي دار بين سليمان وبين الحسن يستفاد منه أن للحسن موقعاً قيادياً كان في جيش الإمام علي عليه السلام، ويظهر أنه أكثر مَن ساعد في المسؤولية المركزية عند الإمام، ولولا مركزيته التي نشير إليها لما هرع إليه سليمان وهو الصحابي المحترم ليعكس له

---

١ ـ نصر بن مزاحم ـ صفين: ٦ ـ٧ طبع قم ـ بهمن ١٤١٨ تحقيق عبد السلام هارون، وللتفصيل يراجع القرشي ـ المصدر السابق: ١ / ٤٨١ ـ٤٨٢ .

تقريع أبيه علي له، وهذه نقطة مركزية يجب أن تلاحظ باهتمام.

وموقف آخر للحسن مع معاوية خلال هذه المعركة يستبان منها صمود أبي محمد الزكي إلى جانب الحق، وطبيعي أن يكون هذا موقفه الإيماني فهو من الحق عنوانه، ومن الإيمان مثاله. لنقرأ ما ذكره المؤرخون في محاولة لمعاوية مع الحسن معتقداً مؤامرته تنطلي عليه فيفصله عن أبيه علي عليه السلام تقول الرواية:

إن معاوية كلف عبيد الله بن عمر[1] أن يحاور الإمام الحسن يمنيه بالخلافة حين يترك أباه الإمام علي عليه السلام بذلك لو تم له، ومناه بأمور كثيرة، وانطلق عبيد الله إلى الحسن وطلب مقابلته، قال له: لي إليك حاجة. فرد الحسن: ما تريد؟ قال عبيد الله: إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخر، وقد شنئوه، فهل لك أن تخلعه ونوليك هذا الأمر؟

هل ينخدع الحسن بهذه المؤامرة القذرة التي يرسمها ابن أبي سفيان بواسطة عميل له هارب من سيف علي حيث يهدده بإقامة الحد عليه بقتل ناس اتهموا بقتل أبيه عمر لم تتم الحجة عليهم بعد، وطبيعي أن يكون جواب أبي محمد الزكي النص التالي:

«كلا والله لا يكون ذلك».

ثم أردف موجها حديثه لعبيد الله: «لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو غدك. أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق (الطيب) ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا..».

---

١ ـ عبيد الله بن عمر بن الخطاب، ولد على عهد رسول الله، ولم يرو عنه شيئاً، التحق بمعاوية في صفين، وقتل فيها عام٣٧هـ. راجع الاستيعاب: ٢ / ٤٣١، والزركلي ـ الاعلام: ٤ / ١٩٥.

ويعود ابن عمر إلى معاوية فينقل له ما كان من حوار مع الحسن، فينبري معاوية قائلاً:

«إنه ابن أبيه»[1].

وشب أوار الحرب واستعر نارها، والتحم الطرفان، والحسنان في مقدمة المقاتلين، وكان الحسن فارسها المغوار، يحمل على الصفوف فينكشف عنه الشاميون، وحين يرى الإمام علي ولديه في وسط الصفوف صاح لمَن حوله:

املكوا عني هذين الغلامين لا يهدني، فإني أنفس بهذين ـ الحسن والحسين ـ لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله[2].

لم يبتعد الحسن عن أبيه علي عليه السلام طيلة ساعات الحرب رغم أنه كان يحاول إبعاده عن المعركة، ولكن الحسن كان ظلاً لأبيه، وحين يرى تكالب الأعداء عليه يلتفت إلى الإمام علي قائلاً:

«ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك (يعني ربيعة الميسرة)».

ولم يخف على الإمام ما يريده ولده الحسن، فيرد عليه:

«يا بني، إن لأبيك يوماً لن يعدوه ولا يبطئ به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي، إن أباك والله ما يبالي أوقع على الموت أو وقع الموت عليه»[3].

---

١ ـ القرشي ـ المصدر المتقدم: ١ / ٤٩٢ ـ٤٩٣ عن المجلسي ـ بحار الانوار.

٢ ـ نهج البلاغة شرح محمد عبده: ٢ / ٢١٢ .

٣ ـ نصر بن مزاحم ـ صفين: ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

وكاد ينهار جيش معاوية أثر ضربات جيش الإمام لولا مؤامرة تحاك ضد جيش الشرعية بطلها ابن العاص والأشعث بن قيس وربانها معاوية، وهي مؤامرة رفع المصاحف لإيقاف الحرب، وبعدها فكرة التحكيم.

ويستغيث معاوية بابن العاص، فقد ماتت الكلمات على قسمات وجهه:

«إنما هي الليلة حتى يغدو علينا بالفيصل، فما ترى يا أبا محمد؟».

إن ابن العاص يقدر موقف معاوية، وأن ساعة المحنة قريبة منهما، فلا بد من طريقة يتخلصا بها منه، ولكن ابن العاص يستغل الموقف، ويريد تذكير معاوية بضعف موقفه فيلتفت له ويقول:

«أرى رجالك لا يقومون برجاله، ولست مثله فهو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على أمر آخر،إن أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون من علي إن ظفر بهم...».

ولكن معاوية يلح عليه بأن يلقى طريق حل لوضعه قبل أن يرضخ لموقف ينتهي به في معركته كما انتهى الزبير وطلحة وعائشة في حرب البصرة اهتز ابن العاص بعد لأي من التفكير وقال:

«ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ حاجتك في القوم، فإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه».

ورفع جيش معاوية المصاحف على رؤوس الرماح، وتعالى الصراخ من جيش أهل الشام:

«يا أهل العراق، مَن لذرارينا أن قتلتمونا، ومَن لذراريكم إن قتلناكم؟ الله الله في البقية. فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل، والناس على الرايات قد اشتهوا ما ادعوا إليه، ورُفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق، كتاب الله بيننا وبينكم»[1].

وانطلت الحيلة والمؤامرة علي بعض أهل الكوفة، وحقق البعض كالأشعث بن قيس [2] وزمرته ما دس له ابن العاص من حبك قضية التحكيم، وراح وزمرته المغفلة تصرخ لأمير المؤمنين، تقول الرواية: «فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين أجب القوم إلى كتاب الله فإنك أحق به منهم، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال»[3].

ثارت النفوس الضعيفة على الإمام، وحاول أن ينبههم إلى خيوط المؤامرة، ويذكرهم بأفعال ابن العاص على الإسلام، وبُعده عن قيمه العليا، ولكنهم ألحوا ومن ورائهم مَن يدفعهم إلى الإلحاح، والإمام علي لم تخف عليه ما يبطنوه، يقول لهم ـ والشفقة ملأ قلبه ـ :

---

١ ـ نصر بن مزاحم ـ صفين: ٤٨١ .

٢ ـ الاشعث بن قيس بن معدي كرب، أبو محمد، أمير كندة في الجاهلية والاسلام، ولد ٢٣ قبل الهجرة، كانت إقامته في حضرموت، وفد على النبي بعد ظهور الإسلام في جمع من قومه فأسلم، تزوج أخت أبي بكر أم فروة، وأقام في المدينة، وفي خلافة الإمام علي خرج معه إلى صفين، وأيد سراً معاوية في قضية التحكيم، وفرض الاشعري على الإمام، وتوفي بالكوفة عام٤٠هـ ، ولقب بالاشعث لتلبد شعره، ونقل الزركلي: أن في بعض المصادر: أن الاشعث فارسي الأصل، انتسب أبوه إلى كندة.ترجمه ألزركلي ـ الاعلام: ١ / ٣٣٢ / ٥ ـ١ .

٣ ـ نصر بن مزاحم ـ صفين: ٤٨٢ .

«عباد الله، إني أحق من معاوية إلى كتاب الله، ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط[1]، وحبيب بن مسلمة[2]، وابن أبي سرح[3]، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا، وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم يعرفونها، ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ومكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا»[4].

وكانت المرحلة الثانية اختيار الحكمين، وبدأت المؤامرة الثانية فقد طلب القوم أن يكون أبو موسى الأشعري ممثلاً لجماعة الإمام، وعلي عليه السلام لن يرضى بالأشعري، فإنه ضعيف أمام ابن العاص ممثل معاوية، وموقف الأمس يذكره الجميع في تخذيله الكوفيين عن الوقوف

---

١ ـ عندما يطلق «ابن ابي معيط» يقصد به عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس من مقدمي قريش في الجاهلية، كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبومعيط. كان شديد الاذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسر يوم بدر وقتل فيها وصلب عام ٢هـ. ترجمه ابن الاثير ـ الكامل: ٢ / ٢٧ والزركلي ـ الاعلام: ٣٤ / ٢٤٠.

٢ ـ حبيب بن مسلمة بن مالك الفهري القرشي، ولد بمكة عام ٢قبل الهجرة وعمل مع أبي بكر وعمر في خلافتيهما، وفي عهد عثمان بعثه لاخضاع جماعة انتفضوا في اذربيجان، وكان معاوية يستشيره في كثير من شؤونه، ولما صفا الملك لمعاوية ولاه ارمينية فتوفي فيها ٤٢هـ ترجمه: الزركلي ـ الاعلام: ٢ / ١٦٦.

٣ ـ عبد الله بن سعيد بن أبي سرح العامري من بني عامر كان مع ابن العاص في فتح مصر وولي مصر سنة ٢٥هـ بعد ابن العاص، وهو أخو عثمان بالرضاعة، وحين تولى أمر المسلمين الإمام علي انتقل إلى الشام قاصداً معاوية، وكان إلى جانب معاوية، توفي بعسقلان عام٣٧هـ، ترجمه: الزركلي ـ الاعلام: ٤ / ٨٨.

٤ ـ نصر بن مزاحم ـ صفين: ٤٨٩ ـ ٤٩٠

إلى جانب الإمام، فأظهر عدم الرضا بهذا الترشيح، وطلب أن يكون أحد الشخصين عبد الله بن عباس، أو مالك الاشتر[1] أو من يماثلهما من أهل الرأي والحكمة، لكن ضعاف النفوس أصروا على الأشعري، ولابد للإمام أن يقبل رأي الجماهير التي لا تعرف من أمرها شيئاً، وقد نصح الكثير من أصحاب الإمام أن يكون حذراً من الأشعري فإنه ضعيف أمام ابن العاص المعروف بالدهاء، واستطاع ابن العاص أن يقنع الأشعري على أن يخلع كل منهما صاحبه، ويتركا الأمر للمسلمين، وأيده بذلك الأشعري.

ومن خلال مناورة ابن العاص مع الأشعري فهم منه ميله إلى عبد الله بن عمر، فحبذه ابن العاص له[2]، فلما حان الوقت تقدما أمام الجماهير وتقدم الأشعري فخلع صاحبه، وتقدم ابن العاص فأثبت صاحبه، وانتهت المسرحية المؤلمة.

ودب الذعر والفوضى في جيش الإمام يطالبونه برفض نتيجة التحكيم، ولكن هيهات فلا مجال للندم حين لا ينفع الندم، رغم أنه عليه السلام رفض ذلك فأصروا على الغلط، فكانت النتيجة كما تكهن الإمام وعليهم مأساة غلطهم. ومع هذا أمر الإمام ولده الحسن أن يوضح الواقع المرّ

---

١ ـ مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، المعروف بالاشتر صحابي جليل من كبار الشجعان، وكان رئيس قومه، أدرك الجاهلية، واسلم، وسكن الكوفة وشهد اليرموك، وذهبت عينه في اليرموك وكان من أصحاب الإمام علي الخلص، وشهد معه الجمل وصفين، وولاه الامام علي مصر، فاغتاله معاوية في الطريق وقبل أن يصل اليها عام ٣٧هـ ، فلما سمع الإمام باغتياله تأثر وقال: «رحم الله مالكاً فقد كان لي كما كنت لرسول الله».وتقول المصادر عنه: كان من الاجواد العلماء الفصحاء. ترجمه ابن حجر ـ الاصابة ت: ٨٣٤٣، والزركلي ـ الأعلام: ٥ / ٢٥٩ .

٢ ـ نصر بن مزاحم ـ صفين: ٥٤٠ ـ٥٤٢.

للملأ، ومهما كلف الأمر فلا تراجع عن التزامه فالكلمة عند علي لها شرفها وصدقيتها.

اعتلى الحسن المنبر، وقال:

«أيها الناس، قد أكثرتم في هذين الرجلين، وإنما بعثا ليحكما بالكتاب على الهوى، فحكما بالهوى على الكتاب، ومَن كان هكذا لم يسم حكماً ولكنه محكوم عليه، وقد أخطأ عبد الله بن قيس(الأشعري) إذ جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال: واحدة، أنه خالف (أبو موسى) أباه (يعني عمر) إذ لم يرضه لها ولا جعله من أهل الشورى، وأخرى، أنه لم يستأمره في نفسه. وثالثها، إنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة، يحكمون بها على الناس.

وأما الحكومة فقد حكم النبي ﷺ سعد بن معاذ[1] في بني قريضة[2] فحكم بما يرضي الله به، ولا شك لو خالف لم يرضه رسول الله»[3].

في هذا الخطاب المختصر فند صلاحية الأشعري لهذه المهمة الخطيرة، وان الرجل كان تبعاً لابن العاص، وانداح لعاطفته وهواه لا لدينه وتقواه، كما رد قول الذين ادعوا أن التحكيم غير مشروع، وأن

---

١ ـ سعد بن معاذ الأنصاري من الأوس أسلم على يد مصعب بن عمير لما أرسله النبي إلى المدينة ليعلم المسلمين. راجع ترجمته في أسد الغابة: ٢ / ٢٩٦ .

٢ ـ للاطلاع على موضوع نقض بني قريضة عهد النبي. يراجع أبو الفداء اسماعيل بن كثير ـ السيرة النبوية: ٣ / ١٩٧ ـ٢٤٤طبع القاهرة / البابي الحلبي ١٩٦٥ .

٣ ـ راجع القرشي ـ المصدر المتقدم: ١ / ٥٣٠ عن ابن قتيبة ـ الامامة والسياسة: ١ / ١٤٤.

رضا الإمام به غير وارد، وهذا ما أدعاه الخوارج فأوضح الحسن أن النبي ﷺ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة.

من هذا يتضح لنا أن الإمام الحسن كان ساعد أبيه طيلة حياته، ويعتمده في حربه كما يعتمده في سلمه، وانتهت حياة الإمام علي في ٢١رمضان من عام ٤٠ للهجرة.

إن الإمام الحسن عليه السلام يعرف جيداً واقع أبيه أمير المؤمنين علي عليه السلام في دينه ودنياه، فهو لا يبالي - في سبيل رسالته - وقع على الموت أو الموت وقع عليه، ومثله الأعلى بعد جده الرسول ﷺ أبوه علي عليه السلام ومسيرته في مستقبله لابد أن تكون على خطى محمد وعلي، وهم«ككل» خمسة أهل العباء في صعيد واحد، وان اختلفوا في الرتب الربانية.

الفصل الثاني

القيادة والمسؤولية

ويحتوي على ثلاثة بحوث:

١ ــ تولي مسؤولية الخلافة والقيادة

٢ ــ معاوية يجدد أطماعه في الانقضاض على الشرعية

٣ ــ التحرك نحو الحرب

(١)

الحسن يتولي مسؤولية الخلافة والقيادة

في يوم ٢١ من رمضان عام ٤٠ هـ لبى الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام نداء ربه شهيدا مضرجاً بدمه في محرابه بمسجد الكوفة قتله عبد الرحمن بن ملجم[١] في مؤامرة حاكها «الخوارج» ومعاوية والأشعث بن قيس.

---

١ ـ عبد الرحمن بن ملجم المرادي الحميري أدرك الجاهلية، وأسلم وهاجر في عهد عمر بن الخطاب، ثم شهد فتح مصر وسكنها، وانتقل إلى صف الخوارج بعد التحكيم، وتعهد بقتل علياً، وذكر ابن سعد في (طبقاته: ٣ / ٢٧ ـ ٢٣): «فقدم عبد الرحمن بن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد، وكان يزورهم ويزورونه، فزار يوما نفراً من تيم الرباب فرأى امرأة منهم يقال لها قطام بنت شجنة بن عدي بن عامر، وكان علي قتل أباها وأخاها يوم النهروان فأعجبته فخطبها فقالت: لا أتزوجك حتى تسمي ليّ، فقال: لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتك، فقالت ثلاثة آلآف وقتل علي بن أبي طالب.فقال: والله ما جاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي بن أبي طالب، وقد آتيتك ما سألتْ. وبات تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً في صبيحتها يناجي الاشعث بن قيس الكندي في المسجد حتى كاد أن يطلع الفجر، فقال له الاشعث: فضحك الصبح فقم. فقام ابن ملجم ومعه صاحبه شبيب بن بجرة فاخذا أسيافهما، ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي.... قال بعض من حضر ذلك: فرأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول: لله الحكم يا علي لا لك، فرأيت سيف عبد الرحمن بن ملجم أصاب جبهته إلى قرنه ووصل على دماغه، وسمعت عليا يقول: لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليهما فافلت شبيب واخذ عبد الرحمن فادخل على علي فقال: طيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا أولى بدمه

تقول المصادر:

«خطب الحسن بن علي عليه السلام صبيحة الليلة التي قُبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال:

لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه.

ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفي فيها يوشع بن نون وصي موسى.

وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم بقيت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله»[1].

عفواً أو قصاصا، وإن مت فالحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين، فقالت أم كلثوم بنت علي: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين، قال: ما قتلت إلا أباك، قالت: فو الله إني لأرجو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس.قال: فلم تبكين إذا. ثم قال: والله لقد سممته شهراً...وبعث الاشعث أبنه قيس صبيحة ضرب علي ×، فقال: أي بني انظر كيف أصبح أمير المؤمنين، فذهب فنظر إليه ثم رجع فقال: رأيت عينيه داخلتين في رأسه، فقال الاشعث: عيني دميغ ورب الكعبة» وينهي ابن سعد حديثه عن اخبار مقتل الإمام علي فيقول: » وبلغ خبره الى عائشة فقالت:

فألقت عصاها وأستقر بها النوى كمـــا قـــر عينا بالاياب المسافر

وراجع ترجمته في الزركلي ـ الاعلام: ٣ / ٣٣٩

١ ـ أبو مخنف لوط بن يحيى الازدي الكوفي ـ كتاب الجمل وصفين والنهروان: ٥٧٩ ـ ٥٨٠ طبع لندن مطبعة الصدر ٢٠٠٢ جمع وتحقيق حسن حميد السنيد، وابن سعد ـ الطبقات: ٣ / ٢٦.

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه. (حتى إذا هدأت العبرة) واصل خطابه وقال:

«أيها الناس، مَن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ، أنا ابن البشير، أنا ابن المنذر، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿ومَن يقترف حسنة نزد له فيها حُسنا﴾، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت»[1].

أكدت غالبية المصادر أن هذا الخطاب الرائع تلاه صبيحة انتقال الإمام علي عليه السلام إلى دنياه الآخرة، وقد وضح الإمام الحسن عليه السلام عدة أمور في هذا الخطاب القصير، ومن أهمها:

١ ـ أبّن والده علياً عليه السلام الذي هو مثال الإنسان الوفي لعقيدته الإسلامية وبروح المؤمن الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد قتل في سبيل الله.

٢ ـ كما أبان أن الإمام علي كان حامل راية الإسلام بين يدي الرسول ﷺ في معاركه وغزواته، فما يرجع حتى يفتح الله عليه.

٣ ـ وما ترك شيئاً لدنياه إلا مبلغاً زهيداً كان قد أدخره ليشتري به خادماً لأهله.

٤ ـ عرف نفسه أنه ابن محمد النبي ﷺ، وأكد على هذه النقطة الهامة وبذلك يريد أن يُفهم المجتمع أنه الوارث الحقيقي لكل الخصال

---

١ ـ السنيد ـ المصدر المتقدم: ٥٨٠.

الحميدة التي تجسدت في رسول الله إلا النبوة.

٥ ـ ثم أكد عليها بقوله: «أنا ابن البشير.....» إلى آخر الفقرات التي تقدمت الإشارة إليها.

٦ ـ ثم ختم حديثه بأنه من أهل بيت النبوة، وان حبهم ومودتهم حسنة لا تقابلها حسنة.

تقول الرواية: لما أتم الإمام الحسن خطابه قام عبد الله بن عباس رحمة الله عليه بين يديه، فقال:

«معاشر الناس، هذا ابن نبيكم، ووصي إمامكم فبايعوه»[١].

فاستجاب له الناس، وقالوا: ما أحبه إلينا، وأوجب حقه علينا. وبادروا إلى البيعة له بالخلافة[٢].

وحين بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة في الكوفة، تلاحقت المدن والأمصار تعلن بيعتها للإمام أبي محمد الحسن عليه السلام، البصرة، والمدائن، وكل العراق، ثم الحجاز، واليمن، وفارس.

وبذلك تصرح الرواية فتقول: «وبايعه (الإمام الحسن) إلى ذلك من بقي في هذه الآفاق من فضلاء المهاجرين والأنصار، فلم يكن لشاهد أن يختار، ولا لغائب أن يرد، ولم يتخلف عن بيعته ـ فيما نعلم ـ إلا معاوية، ومن إليه، وأتبع بقومه غير سبيل المؤمنين، وجرى مع الحسن مجراه مع أبيه بالأمس»[٣].

---

١ أبو الفرج ـ المصدر المتقدم: ٦٢

٢ ـ ابو الفرج الإصفهاني ـ مقاتل الطالبين ٥١ وابن ابي الحديد ـ المصدر السابق: ١٦ / ٣٠

٣ ـ آل ياسين ـ صلح الحسن: ٥٨

وجاء في بعض المصادر أن أول من بايع الإمام الحسن هو قيس بن سعد الأنصاري[1]، فقال له:

«أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله، وقتال المحلين».

ولكن الإمام الحسن ما أراد أن يثير مشكلة في الجو الكوفي فقال له:

«على كتاب الله وسنة نبيه، فإنهما يأتيان على كل شرط»[2].

وذكر المؤرخون: أن الإمام كان يستقبل الناس مجموعة بعد أخرى لتبايعه، فيقول لهم:

«تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون مَن حاربت، وتسالمون مَن سالمت»[3].

حين يطلب الإمام من شيعته أن يكونوا متجاوبين معه في السلم والحرب فهو بصفته إماما مفترض الطاعة، وليس لأحد منهم أن يناقشه فيما يراه صلاحاً لوضع المسلمين وهذا تطبيق لقول رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا».

---

١ ـ قيس بن سعد بن عبادة الانصاري الخزرجي المدني صحابي جليل، من دهاة العرب ذوي الراي في الحرب والنجدة، وأحد الاجواد المشهورين.كان شريف قومه، وكان يحمل راية الانصار مع النبي (ص) ويلي أموره، وصحب علياً في خلافته فاستعمله على مصر وحين عين محمد بن أبي بكر كان من خواص الامام فكان على مقدمة جيش الإمام يوم صفين، ثم مع الإمام الحسن في حربه مع معاوية وعند عودة الإمام إلى المدينة رجع معه وتوفي فيها سنة ٦٠هـ وقيل: ٥٩، ترجمه ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٩٥، والزركلي ـ الاعلام: ٥ / ٢٠٦.

٢ ـ ابن الاثير ـ المصدر السابق: ٣ / ١٧٤.

٣ ـ ابن قتيبة ـ المصدر المتقدم: ١ / ١٧٠.

ولن تختلف هذه البيعة للإمام الحسن ﷺ عن بيعة الإمام علي ﷺ فهما بيعتان جماهيريتان شاركت فيهما الأمة برغبة ودون إكراه، ولا تعيين يلجئ أحد أن ينقاد إليها دون قناعة واطمئنان، فكما طلب أبوه الإمام علي من المسلمين الالتزام بما يوجبه الله عليهم من الطاعة في ما تقتضيه مصلحة الخلافة. كذلك كان الإمام الحسن يطلب من شيعته أن تكون بيعتهم له ملزمة في الضراء والسراء.

بيعة الإمام الحسن بيعة شرعية لا غبار عليها، لأنها نتاج رأي الأمة بعد إرادة الله ورسوله، وسبقتها فقط بيعة الإمام علي فهي كذلك نتاج رأي جماهيري بعد نص النبوي. أما بيعة مَن سبقهما فهي لا تخرج عن كونها محدودة لا تمثل الأمة جمعاء، فالأول اختاره بعض المسلمين من المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة وتخلف عنها غالبية أهل الحل والعقد في المدينة، والثاني نالها بتعيين من قبل الخليفة الأول، والثالث فقد تقدم الحديث عنها إذ جعلها الخليفة الثاني بين ستة وطلب منهم أن يختاروا واحداً منهم، فإن تساوت فتكون الجهة التي فيها ابن عوف هي الرأي القاطع، ومعناه أنه أنهاها لعثمان لقرابة ابن عوف منه، فأين هذا من انتخاب علي والحسن ﷺ.

ولا يكتفي بذلك بل يؤكد في خطاب آخر يحذر شيعته من الأجواء الملبدة بالغيوم، وقد تنفجر بغير صالح الأمة فلابد أن تكون الأمة على حذر فيقول:

«نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله في أمته، ثاني كتاب الله الذي فيه تفصيل كل شيء، ولا يأتيه الباطل من بين

يديه، ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره، لا نتظنن تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾[1]، وفي آية أخرى قال عز من قائل: ﴿...ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2].

وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان إنه لكم عدو مبين، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وأني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون ﴾[3]، فستلقون للرماح وردا، وللسيوف جزراً، وللعمد حطما، وللسهام غرضا ﴿لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾[4].

ثم نزل من على المنبر، فرتب العمال، وأمّر الأمراء ونظر في الأمور»[5].

لم يكن الإمام الحسن بعيداً عن طبيعة المجتمع الكوفي، الذي فارقه أبوه الإمام علي عليه السلام وهو يحمل همّ تقاعس شيعته في الكوفة

---

١ ـ سورة النساء ـ آية: ٥٩ .

٢ ـ سورة النساء ـ آية: ٨٣ .

٣ ـ الانفال ـ آية: ٤٨ .

٤ ـ الانعام ـ آية: ١٥٨.

٥ ـ المجلسي ـ البحار :: ١٠ / ٩٩ ، وآل ياسين ـ المصدر السابق: ٥٩ ـ ٦٠ .

عن العودة لحرب معاوية بعد أن انتهت فترة الهدنة التي أعطاها قبل التحكيم للجيش المتحارب، وكلما طالبهم بالعودة إلى الحرب تنادوا من كل مكان: رفقاً بعوائلنا يا أبا الحسن مللنا الحرب وتعبنا من مقارعة السيوف.

ثم لا ينسى الإمام الحسن تلك الفئة التي ضغطت على أبيه في صفين على قبول التحكيم وأصروا على ذلك إصراراً كبيراً فخضع لهم مضطراً كيلا يقسم صف الجيش، وحين ظهرت النتيجة باستغفال الأشعري من قبل ابن العاص، أصر المختارون بالأمس الأشعري على استئناف الحرب، وحين يمتنع الإمام عن معاودة الحرب قبل انتهاء مدة الهدنة، نكث هؤلاء البيعة، وأعلنوها حرباً شعواء على الإمام، لتقاعسه عن حرب المارقين.

ومن هنا فهو حين يطلب من الذين بايعوه التزامهم بكل مستلزمات البيعة إن سلما أو حربا، فدرس الأمس غير بعيد عنه اليوم، وإن هذه العصابة التي لوعت المسلمين لا يؤمن جانبها بحال من الأحوال.

وإذا صحت الرواية بأنه كان يشترط على المبايعين له بالخلافة هذا الشرط فإنه يقصد هؤلاء الذين يستغلون الفرصة لإثارتها مشاكل على أية جهة كانت، خاصة إذا قبلنا رواية بعض المؤرخين الذين يرون أن بعض المسلمين حين اشترط عليهم هذا الشرط أمسكوا أيديهم عنها وحاولوا إثارة بعض المشاكل فلم يفلحوا.

وبدأت المشاكل من اليوم الذي تحمل الإمام الحسن مسؤولية الأمة كإمام وقائد ومعلم، فقد تململ البعض من الذين يعلمون أن

الحسن لا يتعدى خط والده الإمام علي عليه السلام، وإنها أخذت توازن بين الدنيا والدين، فأيهما يقع عليه الاختيار له استحقاقاته والتزاماته، والفرق كبير بين الأمرين.

ومن الطبيعي أن لا يتعدى الحسن خطى أبيه من رفض الطبقية، والوصولية فالأمة في عرفه سواسية كأسنان المشط، وهذه قاعدة وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله لسياسته في مسيرته الرسالية، فكان نهج الإمام علي كما خطه النبي، وهو نفسه مع الحسن، ولا يمكن أن يحيد عنه وهو نهج الرسالة، وإذا تثاقل بعض القوم في عهد علي عليه السلام فحتما سيتثاقل ـ أيضاً ـ في عهد الإمام الحسن، فالقوم أبناء القوم حين حاربوه في ثلاث مناسبات هزت العالم الإسلامي، وانتهى باغتياله.

ويستيقظ دور معاوية من جديد، فالمارد الحاقد الكامن في أعماقه يتحرك وينفجر بتهجم يتعدى حد التصور، إنها ساعة الانقضاض والنهش، إنه يتحين الفرصة من يوم مؤامرة «المصاحف»، وفي رأيه حان الوقت ليعلنها عاصفة هوجاء في وجه الخليفة الجديد، ومهما كلف الأمر، وكأنه على موعد مسبق معها، انه هيأ مؤامرة ابن ملجم ليحصد نتيجتها، وقد واتت الساعة التي انتظرها أبو يزيد بفارغ الصبر.

(٢)

معاوية يجدد أطماعه في الانقضاض على الشرعية

بايع المسلمون في الكوفة ـ وعلى اختلاف طبقاتهم ـ الإمام الحسن عليه السلام، ثم بايعه أهل البصرة والمدائن، ثم أعلنت فارس بيعتها على يد زياد بن أبيه[١]، وبايعه الحجازيون واليمانيون على يد جارية بن قدامة[٢]، وبادرت الأمصار على إعلان بيعتها، وما تخلف أحد عن البيعة سوى معاوية، ومَن يتصل به.

---

١ ـ زياد بن أبيه، اختلفوا في اسم أبيه، قيل: عبيد الثقفي، وقيل أبو سفيان، ولدته أمه سمية (جارية الحارث بن كلدة الثقفي) في الطائف، ولد في السنة الاولى للهجرة، أسلم في عهد أبي بكر، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، ثم لابي موسى الاشعري أيام إمرته على البصرة، ثم ولاه الإمام علي(ع) في خلافته فارس، وبعد وفاة الإمام علي حاول معاوية استمالته لجانبه فأبى في بداية الأمر، فأشار عليه عمرو بن العاس أن يلحقه بنسبه لأبي سفيان فلم يمانع وتم ذلك عام ٤٤هـ وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي عام ٥٣ هـ، كان في بداية عهده موالياً لعلي ومحباً، ولكن بعد استلحاقه لأبي سفيان بغض علياً وتتبع شيعته قتلا وتهجيراً، وله تاريخ طويل في السفك والاضطهاد للشيعة، وأخباره كثيرة. ترجمه: ابن الاثير ـ الكامل: ٣ / ١٩٥، الزركلي ـ الاعلام: ٣ / ٥.

٢ ـ جارية بن قدامة بن زهير، ويقال ابن مالك بن زهير بن الحصين بن رزاح التميمي السعدي، أبو أيوب، وقيل: أبو قدامة، وقيل: أبو يزيد البصري، روى عن النبي(ص)، وعن علي(ع) وشهد معه صفين، وثقه ابن حيان، وقال عنه ابن حجر: «إنه صحابي ثابت الصحبة»، وله مع معاوية حوار

ومن أجل إلقاء الحجة، كتب الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية كتاباً يدعوه فيه إلى بيعته، ونصه:

«من عبد الله الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا الله إلا هو.

أما بعد، فإن الله تعالى عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، ومِنة على المؤمنين، وكافة إلى الناس أجمعين ﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾[1]، فبلغ رسالات الله، وقام على أمر الله حتى توفاه الله غير مقصر ولا وانٍ، حتى أظهر الله به الحق، ومحق به الشرك، ونصر به المؤمنين وأعز به العرب، وشرف به قريشاً خاصة، فقال تعالى: ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾[2]، فلما توفي صلى الله عليه وآله تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه، ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش، وأن الحجة لهم في ذلك على مَن نازعهم أمر محمد، فأذعنت لهم العرب، وسلمت ذلك، ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاججت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا

حاد في لقاء في عهده. ترجمه ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٢ / ٥٤ ـ٥٥، والقرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٠٣.

١ ـ سورة يسن ـ آية: ٧٠.

٢ ـ سورة الزخرف ـ آية: ٤٤.

بالإجماع على ظلمنا، ومراغمتنا، والعنت منهم لنا، فالموعد الله، وهو الولي النصير.

وقد تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمون به أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده.

فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ والله خيبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، وتالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.

إن علياً ـ رضوان الله عليه ـ لما مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه ـ يوم قبض، ويوم منّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً، ولانيّ المسلمون الأمر بعده، فأسال الله أن لا يريدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامته، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله في أمرك، ولك في ذلك أن فعلت الحظ الجسيم، والصلاح للمسلمين، فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أواب حفيظ، واتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، فادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومَن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، وتجمع الكلمة، ويصلح ذات

البين، وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»[1].

فرد عليه معاوية بما يكشف عن دخيلة نفسه الحاقدة دون لف أو دوران، يقول فيه:

«أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به رسول الله ﷺ من الفضل، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه، وصغيره وكبيره، فقد والله بلغ فأدى، ونصح وهدى، حتى أنقذ الله به من التهلكة، وأنار به من العمى، وهدى به من الضلالة، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته، وصلوات الله عليه يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حياً. وذكرت وفاة النبي ﷺ وتنازع المسلمين من بعده، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري رسول الله ﷺ وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فإنك أمرؤ عندنا وعند الناس غير ظنين، ولا المسيء ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل.

إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم ولا سابقتكم ولا قرابتكم من النبي، ولا مكانتكم في الإسلام وأهله، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعامتهم أن يولوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاما وأعلمها بالله وأحبها له، وأقواها على أمر الله، واختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الحجى والدين والفضيلة،

---

١ ـ ابو الفرج ـ مقاتل الطالبين: ٦٤ ـ٦٥ طبع ايان عترت١٤٢٥ هـ ، وابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١٢، والامين ـ اعيان الشيعة: ٤ / ق١ / ١٧ ـ ١٨.

والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتهمين، ولا فيما أتوا بمخطئين، ولو رأى المسلمون فيكم من يغني غناءه، أو يقوم مقامه أو يذب عن حريم المسلمين ذبه ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرا.

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد النبي ﷺ، ولو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو لأجبتك إلى ما تدعوني إليه، ورأيتك لذلك أهلا. ولكن قد علمت أني أطول منك ولاية، وأقدم منك بهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، وأكبر منك سناً، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ، تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شيء معونة لك على نفقتك يجبيها أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لا يستولى عليك بالإساءة، ولا تقضى دونك الأمور، ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله عز وجل، أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام»[1].

---

١ ـ أبو الفرج ـ المصدر السابق: ٦٦ ـ٦٧، ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١ / ١٣، والأمين المصدر المتقدم: ٤ / ١٨ باختلاف بسيط.، وموسوعة كلمات الإمام الحسن: ١١٣ ـ ١١٥ اصدار منظمة الإعلام الإسلام طبع قم / دار الاثار١٤٢٣.

كان هذا جواب ابن أبي سفيان على رسالة الإمام الحسن الذي دعاه فيها أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعته، رسالة تضمنت الوعيد والترغيب والترهيب ومحاولة الدعوة لنفسه، والمحاججة والمخاصمة، وكل ما يملك من أساليب المكر والخداع.

وهذه الرسالة ـ وحدها ـ كافية لإعلان العصيان على البيعة للإمام الحسن عليه السلام بعد أن تأكد من مبايعة الناس للإمام الحسن عليه السلام، وقد نصح رسول الإمام الحسن سيده قائلا له: إن الرجل سائر إليك، فأبدأ أنت بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله، فأما أن تقدر أنه يتناولك فلا والله حتى يرى يوما أعظم من يوم صفين، فقال: أفعل[1].

ولكن الإمام الحسن لا يريد أن يدفع الناس إلى حرب غير متكافئة، ولعل الأمور تحل بالسلم، إذ كانت الأجواء لدى معاوية تنذر بالأخطار، ومطاوي رسالته تعبر بأمانيه وأحلامه، وتنظر ليرى ردود الرسالة، ولما لم ير جوابا بادر هو برسالة إلى الإمام الحسن، جاء فيها:

«أما بعد، فإن الله عز وجل يفعل في عباده ما يشاء، ﴿لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾[2]، فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع الناس، وايئس من أن تجد فينا غميزة، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت، وأجزت لك ما اشترطت، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

---

١ ـ أبو الفرج ـ المصدر السابق: ٦٨ .

٢ ـ سورة الرعد ـ آية:٤١.

وإن أحد أســـدى إليك أمـانة فأوف بهـا تدعى إذا مت وافيا
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه إن كان في المال فانيا
ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها والسلام»[1].

فرد عليه الإمام الحسن:

«أما بعد، وصل إلي كتابك تذكر فيه ما ذكرت، فتركت جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحق تعلم أني من أهله، وعلي أثم أن أقول فأكذب، والسلام»[2].

لم تنتج أي رسالة من الطرفين في الوصول إلى هدف كاتبها، ولا أحسب أن الإمام الحسن يخضع لهذا الترغيب والترهيب من معاوية، كما أن معاوية مصمم على الوصول إلى هدفه بأي ثمن كان، واعتقد أن كلا الطرفين يأس من استجابة الآخر لمطلبه، فالإمام لا يمكنه من التنازل لمعاوية، وليس الأمر عنده بهذه السهولة التي يتصورها معاوية، وقد يأس الطرفان وانتهت الحرب الكلامية بينهما. وصمم الطرفان على التحرك للحرب.

---

١ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١٦ / ٣٣ وأبو الفرج ـ المصدر المتقدم: ٦٨ .

٢ ـ أبو الفرج ـ المصدر السابق: ٦٨ .

(٣)

التحرك نحو الحرب

حسم معاوية الموقف حين أرسل الإمام الحسن رسولين من قبله إلى معاوية، وهما: جندب بن عبد الله الأزدي، والحارث بن سويد التيمي[١] حملهما رسالة إلى معاوية، فلما قدما عليه، قال لهما:

«أرجعا فليس بيني وبينكم إلا السيف»، فرجعا.

يقول جندب: فلما أتيت الحسن بجواب معاوية، قلت له: إن الرجل سائر إليك، فأبدأ بالمسير إليه حتى تقابله في أرضه وبلاده وعمله، فأما أن تقدر أنه ينقاد إليك فلا والله حتى يرى يوماً أعظم من صفين[٢].

حين كتب الإمام الحسن رسالته إلى معاوية يدعوه إلى بيعته بعدما بايعه المسلمون في كل الأقطار عدى الشام وزعيمها معاوية وأشياعه، فهو على بينة واضحة أن هذا الرجل لن يدخل الدين قلبه لحظة ما، ولكن أمام الرأي العام لابد أن يلقي الحجة ويفهمهم بأن الرجل لن يرعوي عن غيه، وهو والشرعية على مفترق طريق، خاصة والأخبار وصلت إليه أنه أخذ يستعد للتحرك نحو العراق، وأنه كتب إلى عماله يطلب منهم الاستعداد للسفر للأخذ بثأر عثمان.

---

١ ـ الامين ـ اعيان الشيعة: ٤ / ق١ / ١٧ .

٢ ـ الامين ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١ / ١١٧ .

مع هذا التصميم أرسل رجلين من أتباعه إلى العراق لجمع الأخبار عن وضع جيش الحسن، وتعلق الجماهير به، تقول الرواية:

«دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار، ويفسدا على الإمام الحسن الأمور، فعرف ذلك الإمام فأمر باستخراج الحميري من عند لحام بالكوفة فأخرج وضربت عنقه، وكتب إلى واليه بالبصرة باستخراج القيني من بني سليم، فأخرج وضربت عنقه»[1].

وكتب إلى معاوية:

«أما بعد، فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقا، وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله، وبلغني أنك شَمِت بما لا يشَمتُ به ذوو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى
تجهز لأخرى مثلها فكأن قد
فإنا[2] ومن قد مات منا لك الذي
يروح فيمسي في المبيت ليغتدي»[3].

إن الإمام الحسن لم يغفل عن أفكار خصمه اللدود، فهو على معرفة تامة بنوايا عدوه وعدو جده وأبيه، واتخذ الحيطة لذلك، وصمم

---

١ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ٩.

٢ ـ وفي أبو الفرج ـ المصدر السابق: ٢ / ٦٣ «وإنا».

٣ ـ المفيد ـ الإرشاد: ٢ / ٩ ـ ١٠، وأبو الفرج ـ مقاتل الطالبين: ٦٢ ـ ٦٣.

على الحرب، وإيقاف عجلة المراسلات التي لا تحل مشكلة هذا المتربص لاختطاف الخلافة.

ولم يكتف معاوية برد الرسالة، وانتظار مردودها، فهو يعلم أن الحسن لم يرضخ لما يمني نفسه بأي حال من الأحوال. فقام بتسريب خبر عزمه على التحرك نحو العراق لإثارتها حرباً ضروساً على الشرعية النبوية، واغتصاب الحكم من الإمام الحسن إن عاجلا أو آجلا، وكتب ـ كتاباً واحداً ـ إلى جميع عماله وولاته في الأمصار الإسلامية، والتي يملك فيها النفوذ والسطوة، جاء فيه:

«أما بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلا من عباده فاغتاله فقتله، وترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فاقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان والسلام»[1].

كان الإمام الحسن عليه السلام حين تسلم أمر الخلافة قد وضع نصب عينيه أمر معاوية وموقفه المتعنت، ولعلنا نتلمس ذلك من خلال الآتي:

١ ـ إن الإمام الحسن بعد وفاة أبيه الإمام علي اجتمع بالمسلمين في مسجد الكوفة، واخبرهم بوفاة أبيه الإمام علي، وبعد ذلك قصده المسلمون للمبايعة فكان كلما قصده عدد من المسلمين للبيعة يقول لهم:

---

١ ـ ابن ابي الحديد ـ شرح النهج: ٤ / ٧٠١ طبع بيروت.

«تبايعون لي بالسمع والطاعة، وتحاربون مَن حاربت، وتسالمون مَن سالمت»[1].

ورواية أخرى تقول:

«وكان الحسن يشترط عليهم (أي المبايعين له): إنكم مطيعون تسالمون مَن سالمت، وتحاربون مَن حاربت. فارتابوا بذلك، قالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد هذا إلا القتال»[2].

٢ ـ إنه عليه السلام حينما تقلد أمر الخلافة وبايعه الناس «نزل عن المنبر فرتب العمال، وأمر الأمراء، ونظر في الأمور، وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة، وكان أول شيء أحدثه الحسن بن علي أنه زاد المقاتلة مائة مائة، وقد كان أبوه علي عليه السلام فعل ذلك يوم الجمل، والحسن فعله حال الاستخلاف»[3].

هذه الأمور فيها دلالة واضحة على أن الإمام الحسن عليه السلام قد وضع في حسابه أمر الحرب من اللحظة الأولى لتوليه مسؤولية القيادة في مسيرة الإسلام، ولولا هذه النقطة لما كان الإمام بحاجة إلى الاهتمام بأمر المقاتلة، وزيادة عطائهم مائة مائة.

ومما لاشك فيه أن أبا محمد الحسن بذل جهداً في إعداد جيش لائق نفسياً وعلى استعداد كامل من حيث القدرة والقابلية العسكرية لمقابلة جيش الشام، وعلمه بجيش معاوية، وإطاعته العمياء لمعاوية ـ كما رآه في صفين ـ لم تغرب عن ذهنه.

---

١ ـ ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة: ١ / ١٧٠.

٢ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ: ٢ / ٢٠٢.

٣ ـ ابو الفرج ـ مقاتل الطالبين: ٦٤، والأمين ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١٥.

ومع هذا كله كان الإمام حذراً للغاية من أهل الكوفة خاصة، فبالأمس القريب كان موقف الكوفيين التخاذلي مع أبيه علي واضحاً لا لبس فيه، فقد تقاعسوا عن العودة إلى حرب معاوية حينما انتهت الهدنة التي تمت بين الجيشين المتحاربين قبل خدعة المصاحف، مما اضطر الإمام علي عليه السلام حينذاك أن يصرف النظر ـ ولو بصورة مؤقتة ـ عن العودة إلى حرب معاوية.

وكما أن الإمام الحسن استعد للحرب، كذلك معاوية ـ أيضا ـ استعد لحرب على الإمام يشنها، ولقد تقدمت إشارة جواب جندب الأزدي إلى الإمام بعد ما شاهد موقف معاوية بأن الرجل سائر إليك لا محالة، مضافاً إلى ذلك أن عبد الله بن عباس ـ ممثل الإمام في البصرة ـ كتب إلى الإمام ـ بعد أن أمره بقتل عين معاوية ـ:

«أما بعد، فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي عليه السلام فشمر للحرب، وجاهد عدوك، وقارب أصحابك...»[1].

وأيضا تقدم جمع من المسلمين للإمام الحسن وأشاروا عليه بأن يكون رد الإمام عملياً، بأن يثيرها عليه حرباً لا هوادة فيها[2]، غير أن الإمام كان يؤثر التروي في هذا الأمر ريثما يتأكد من استعداد جيشه لخوض حرب لا يحدد نتائجها أي إنسان مستقبلا.

لقد كثر النصح للإمام الحسن بأن يزحف بجيش محارب إلى معاوية قبل أن يصل إلى أرض العراق، إلى جانب «قوة اندفاع أصحابه

---

١ ـ الرسالة طويلة ورائعة، ذكرها ابن أبي الحديد ـ شرح النهج: ٤ / ٨ ، ورسائل جمهرة العرب: ٢ /١.

٢ ـ د. طه حسين ـ علي وبنوه: ٥ / ٦٠٦ ضمن المجموعة الكاملة لأعمال طه حسين.

للهتاف بالحرب، لا يجيب إليها صريحا، ولا يعمل لها جاداً، لأنه كان ينظر إلى الحرب نظرته إلى ضرورة بغيضة، يلجأ إليها حين لا حيلة له في اجتنابها، وكان ينتظر تنظيم حرب يضمن لها القوة، أو قوة تضمن له الحرب، وقد حالت الظروف المتأزمة ـ يومئذ ـ والذاهبة صعداً في أزماتها بينه وبين ما يريد»[1].

الواقع أن أبا محمد الزكي لم يكن غافلاً عن هذا الجانب، غير أننا لو استعرضنا حال جماهير الكوفة ومن والاها لرأيناها تزدحم بتيارات متعددة قد لا تكون جميعها موالية للإمام الحسن ﷺ، وقد تضمر بعضها الشر له كما هو موقف الأشعث بن قيس ويؤكد ذلك شيخنا المفيد حيث يرى: مجتمع الكوفة مكون حينذاك من«أخلاط من الناس، بعضهم شيعة له ولأبيه ﷺ وبعضهم محكمة (خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية أتبعوا رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين»[2].

ولا اعتقد أن قائداً لحرب لها حسابها المستقبلي ـ وهو على بينة من الجماهير الملتفة حوله، وأكثرهم متظاهرة بالوفاء، ولكن لعب في نفوس أصحابها إغراء وإرهاب معاوية ـ أن يغامر بها في زجها بساحة الحرب، وعدوه يملك جانبها الأكبر بجيش ضخم له من العدة والعدد، والإطاعة والامتثال ما يبهر الأبصار.

كما يجب أن لا ننسى موقف غالبية هذه الجماهير مع أبيه

---

١ ـ آل ياسين ـ المصدر السابق: ٩٠.

٢ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٠.

بالأمس القريب، وهي تخذله مرة بعد أخرى، وبالتالي تصرح له بأنها لا طاقة لها بالحرب، ويسمع هتافهم بملء أذنيه «البقية البقية». هذا الواقع المر الذي عاشه الإمام الحسن عليه السلام في الفترة القصيرة التي تربط بين البيعة بالخلافة، والدعوة إلى الحرب.

ومعاوية يلح على الإمام بالأخبار التي تصل إليه بأن بعض زعماء الكوفة تعهدوا لمعاوية بتسليمه الحسن له حياً أو ميتاً، وليس بالضرورة أن يعدم الحسن إلى جانب هؤلاء نخبة عظيمة آمنت بالإمام الحسن، واعتبرت طاعته ملزمة لهم في كل الأحوال، استناداً إلى أمر النبي صلى الله عليه وآله بأن الحسن إمام إن قام أو قعد.

الفصل الثالث

المواجهة السافرة

ويضم البحوث التالية:

١ ــ التعبئة والاستعداد للحرب

٢ ــ معاوية يمارس مع أصحاب الحسن دور الترغيب والترهيب

٣ ــ الاصطدام بالأمر الواقع

(١)

التعبئة والاستعداد للحرب

يقال أول الحرب كلام...

والحرب الباردة تعتمد على المراسلات الكتابية، كما تعتمد الحرب العسكرية على المناوشات وتبادل الهجمات...

لقد تقدم الحديث عن حرب الكلام والمراسلات الكتابية، أو ما يسمى بالحرب الباردة، كل يدعو الطرف الآخر للاعتراف بأحقيته، ومد يد البيعة له، نظراً لكونه أولى منه بهذه المهمة الخطيرة، ولقد زاد في قلق معاوية ما ترامى إليه التفاف الجماهير حول الإمام لمبايعته، وأنها أحبته أشد من حبها لأبيه[١].

ولذا فقد صمم معاوية على غزو الكوفة بجيش ضخم بقيادته، ليقابل الإمام الحسن بنفسه، ومن أجل تحقيق ذلك، قام بالخطوات التالية:

أ ـ دس إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجار بن أبجر، وشبث بن ربعي دسيساً أفرد لكل واحد منهم مَن يمنيه، أنك إذا قتلت الحسن فلك: مائة ألف درهم، وجند من أجناد الشام،

---

١ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ٨ / ٤١ .

وبنت من بناتي[1].

ب - كما كتب إلى عماله وأصحابه يخبرهم بأن أصحاب الإمام الحسن كتبوا إليه يلتمسون منه الأمان لأنفسهم وعشائرهم، ونصه:

«من معاوية أمير المؤمنين إلى فلان وفلان، ومن قبله المسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فاقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

هذه الرسالة الاستنهاضية حفزت أتباع معاوية لتعبئة الأجواء الحربية. وفعلاً حشدت القبائل الشامية ما يمكنها للحملة المرتقبة إلى العراق بانتظار ساعة الصفر من معاوية الذي عزم على قيادة الجيش بنفسه إلى الكوفة.

ج - كتب للإمام الحسن وهو عازم على التوجه إلى العراق كتاباً، جاء فيه:

«أما بعد، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس،

---

١ - الامين - المصدر السابق: ٤ / ٢٢ .

٢ - ابن أبي الحديد - المصدر المتقدم: ٤ / ٧ طبعة بيروت.

وآياس من أن تجد فينا غميزة، ثم الخلافة لك من بعدي، فأنت أولى الناس بها والسلام»[1].

وهذه الرسائل الثلاث تكاد تكون متشابكة يتمم بعضها بعضا، ولا يمكن فصلها، فهو يعرف جيداً أن قسماً من رجال الكوفة، وفي مقدمتهم الأشعث بن قيس يميلون إليه، ويحبون التخلص من آل علي بن أبي طالب، فالأشعث سبق أن لعب دوراً هاماً في مؤامرة المصاحف في صفين، وأخضع جماهير الجيش العلوي لقبول مبدأ التحكيم، وفرض الأشعري عضواً في لجنة التحكيم، ثم اشتراكه في مؤامرة اغتيال الإمام علي عليه السلام، وهذا الرجل ومَن على شاكلته يتخذون من الدين ستاراً لمصالحهم، فهم لا يتورعون عن ارتكاب أي جريمة طالما تدر عليهم مالاً أو جاهاً، ومعاوية كريم بهذين الأمرين مع مَن يرى فيه القدرة على تنفيذ مآربه.

ويملك معاوية سلاحاً نافذا وهو قابليته على«الكذب» فقد كتب إلى عماله وأصحابه بأن زعماء العراق، وأشراف الكوفة استنجدوا به وطلبوا منه الأمان، وهذا أسلوب له تأثير كبير على معنويات النفوس الضعيفة وتسرب التخاذل والتلكؤ عن الاستجابة للانخراط في جيش الإمام بعد الاعتقاد أن العملية المقبلة لا تصل إلى مذابح صفين، وأن النصر معهم مسبقاً بعد انهيار القوة الداعمة لجيش الإمام الحسن. وحين يصور معاوية لأصحابه وقواد جيشه موقف أصحاب الإمام الحسن المتخاذل. فلاشك أنه يكسب الموقف باندفاع الشاميين إلى

---

١ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١٣ .

الانخراط في الجيش المزمع تجميعه لمحاربة جيش الشرعية الذي يتلكؤ في التجمع، وبالأمس بايعه على السراء والضراء.

ولعل معاوية سبر غور الجيش العراقي ـ بواسطة عملائه الذين دسهم في العراق للتعرف على أوضاعه في عهده الجديد ـ فعرف تفككه، وعدم ميله للحرب ويتمنى الراحة والدعة، ولذا لوح للإمام الحسن في رسالته ـ بالترغيب تارة وأخرى بالترهيب ـ ما يثير فيه كوامن ما جرى بصفين، وكيف دارت الدائرة على أبيه بحيث ما استطاع أن يقف في وجه جيشه المقتنع به قناعة تامة، وكلفه موقفا حرجاً للغاية.

أما بالنسبة للإمام الحسن ﷺ فقد كان في موقف لا يحسد عليه، وهو على علم بأن غالبية الكوفيين خانوا أباه بالأمس، وخذلوه عندما استنهضهم للعودة إلى حرب معاوية، فكانوا صرحاء معه في تقاعسهم، فهل تغير الموقف عند هؤلاء بعد تهافتهم عليه في البيعة؟

السؤال الذي يرسم نفسه هو لماذا لم يقدم الإمام الحسن على مجابهة معاوية بهجوم قبل أن يتحرك عليه، خاصة أن عدداً من أصحابه طلبوا منه ذلك، وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس الذي كتب له يقول:

«أما بعد، فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد علي ﷺ فشمر للحرب، وجاهد عدوك، وقارب أصحابك، وأشتر من الضنين دينه بما لا يثلم لك دنياه، وولّ أهل البيوت والشرف تستصلح به عشائرهم، حتى يكون الناس جماعة، فإن بعض ما يكره الناس ما لم يتعد الحق، وكانت عواقبه تؤدي إلى ظهور العدل وعز الدين خير من كثير مما

يحبه الناس إذا كانت عواقبه تدعو إلى ظهور الجور وذل المؤمنين وعز الفاجرين، واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب إلا في حرب، أو إصلاح بين الناس، فإن الحرب خدعة، ولك في ذلك سعة إذ كنت محارباً ما لم تبطل حقاً.

وأعلم أن علياً أباك إنما رغب الناس عنه إلى معاوية أنه آسى (سوى) بينهم في الفيء، وسوى بينهم في العطاء، فثقل عليهم، وأعلم أنك تحارب مَن حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله. فلما وجد الرب، ومحق الشرك وعز الدين أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن مستهزئين بآياته، وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون، فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار توسموا بسيمى الصالحين ليظن المسلمون بهم خيراً، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في أماناتهم وقالوا حسابهم على الله، فإن كانوا صادقين فإخواننا في الدين، وإن كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين، وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلا غياً، ولا زادهم ذلك لأهل الدين إلا مقتاً فجاهدهم، ولا ترض دنية ولا تقبل خسفاً، فإن علياً أباك لم يجب إلى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل، فلما حكموا بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله، لا تخرجن من حق أنت أولى به حتى يحول الموت دون ذلك والسلام»[1].

---

١ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ٤ / ٨، والقرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٥١ ـ٥٣ .

ولعلنا تلمسنا وبوضوح نصح ابن عباس الإمام الحسن أن يستبق معاوية المناجزة، أو يشتري من الضنين دينه، ولكن الإمام الحسن عليه السلام إزاء هذا الوضع أمام:

١ ـ يدرك جيداً دقة الموقف بما يسيطر عليه من ميوعة الأخلاق في قسم عظيم ممن معه في جيشه، وممن حوله في كوفته، وكان ينتظر لهذا التفسخ الأخلاقي أثره السيئ في ظروف الحرب لو أنه أستبق إلى حرب قبل أن يضطره الموقف إليه.

٢ ـ إنه لو فعل ذلك لفتح للمعارضين من زعماء الأحزاب في الكوفة، وللمتفيهقين من القراء، و(أهل الهيأة والقناعة) فيها منفذاً للخلاف عليه لا يعدم الحجة، إذا أريد الاحتجاج به من ناحية «الابتداء بالعدوان» وهي الحجة التي لا يجد كثير من الناس، أو من بسطاء الناس الجواب عليه، والتي قد يؤل بها النقاش إلى مجاهرة هذه الجماعات بنكث البيعة عليه، والتخلي عن الحسن جهاراً، ومعنى ذلك التعرض إلى أفظع انشقاق داخلي له عواقبه ومخاوفه.

ولهذا وذاك آثر الحسن التهدئة متمهلاً بالحرب بادي ذي بدء»[1].

رغم كل محاولات التريث فإن الإمام الحسن حين بلغه تصميم معاوية على التحرك فقد أعلن التعبئة العامة استعداداً للتحرك ضد جيش معاوية الذي أقبل عليهم ليغزوهم في عقر دارهم، فأمر بالصلاة جامعة، حتى إذا اجتمع الناس، صعد المنبر، وخطب فيهم وجاء في خطبته قوله عليه السلام:

---

١ ـ آل ياسين ـ المصدر المتقدم: ٩١.

«أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم ـ أيها الناس ـ نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون.

وإنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك. لذلك فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة[1]، حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون»[2].

هكذا أعلن الإمام الحسن عليه السلام عن عزمه لحرب معاوية سواء كان راغباً أو مكرهاً.

والسؤال المركزي، ما هو انعكاس هذه الدعوة في نفوس جماهير الكوفة الذين بايعوا الإمام على الطاعة والامتثال حرباً أو سلماً؟.

تقول الرواية: وعندما أتم الإمام خطبته التي طلب فيها من الناس التهيؤ للحرب «سكتوا فما تكلم منهم أحد، ولا أجابوه بحرف»[3].

وحين بدأ الموقف التخاذلي من القوم والتلكؤ في الاستجابة، نهض الصحابي الجليل عدي بن حاتم وأنبرى وسط الجماهير التي أذهلتهم الدعوة واستكبر عليهم سكوتهم المشين، وخاطبهم وهو يقول:

«سبحان الله ما أقبح هذا المقام!! ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جد الجد راوغوا كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها، وعارها...

---

١ ـ النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام.البغدادي ـ مراصد الاطلاع: ٣ / ١٣٦٦، ويعرف اليوم بـ «خان النخيلة» بين محافظتي النجف وكربلاء، وإلى كربلاء أقرب.

٢ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٧٠١.

٣ ـ الامين ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١٩.

أصاب الله بك المراشد (مخاطباً الإمام الحسن)، وجنبك المكاره، ووفقك لما يحمد ورده وصدوره، قد سمعنا مقالتك، وانتهينا إلى أمرك، وسمعنا وأطعنا فيما قلت ورأيت...

وهذا وجهي إلى معسكرنا، فمَن أحب أن يوافي فليوافي».

وتضيف الرواية: أنه خرج من المسجد، وكانت دابته بالباب فركبها وخرج وحده من دون أن يلتحق به أحد، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، فانتهى إلى النخيلة فعسكر فيها قبل أن يلتحق به أحد[1].

ولم يسهل هذا الموقف التخاذلي على الخلص من أصحاب الإمام علي عليه السلام الذين يرون في الإمام الحسن إماماً مفترض الطاعة ولابد أن يجاب ويلبى طلبه،وبيعة الكوفيين له قامت على أساس الامتثال سواء كانت حرباً أو سلماً، وأعقب حديث عدي بن حاتم، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري[2] ومعقل بن قيس الرياحي[3] وغيرهما، فأنبوا الناس وحرضوهم على الخروج مع الحسن في حربه مع معاوية، وأعلنوا استجابتهم لأمر إمامهم. فرد عليهم الإمام أبو محمد

---

١ ـ ابن ابي الحديد ـ المصدر السابق: ٤ / ١٤ .

٢ ـ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي المدني صحابي، من دهاة العرب، ذوي الرأي والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه، وكان يحمل راية الانصار مع النبي(ص) ويلي أموره، ومن أصحاب الإمام علي (ع)، وكان واليا على مصر من قبل الإمام، كما كان معه في صفين، وبعده بايع الإمام الحسن(ع)وكان معه في حربه مع معاوية ومعه رجع إلى المدينة وتوفي عام٦٠هـ . راجع ترجمته: ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٩٥، والزركلي ـ الاعلام: ٥/ ٢٠٦.

٣ ـ معقل بن قيس الرياحي من بني يربوع تصفه المصادر من القواد الشجعان الأجواد أدرك عصر النبوة، وكان من أمراء الصفوف يوم الجمل، وولي شرطة الإمام علي قتل في معركة سنة ٤٣هـ وقيل في ٤٢. ترجمه: ابن حجر ـ الإصابة: ت: ٨٤٥١ ، والزركلي ـ الأعلام: ٧ / ٢٧١ .

الحسن الزكي قائلاً:

«صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء والقبول والمودة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً»[1].

وبعد هذه المواقف الصادقة الحماسية من الصفوة المؤمنة نشط الناس بالاستجابة للخروج إلى المعسكر، ولم يكن كلهم مدفوعين بدافع إيماني للقضية بل لحسابات متعددة، نستطيع أن نحددها في ضوء ما نقله شيخنا المفيد في النص التالي:

«واستنفر(الإمام الحسن) الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفوا ومعه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة (أي خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية أتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»[2].

وتقول رواية أخرى:

«وركب معه (مع الحسن) مَن أراد الخروج، وتخلف عنه خلق كثير، لم يفوا بما قالوا، وبما وعدوا وغروه كما غروا أمير المؤمنين من قبله»[3].

هذه الصورة القاتمة للجيش الذي خرج مع الإمام الحسن عليه السلام لحرب معاوية، والأنباء تصل للإمام عن معاوية بأنه خرج معه جيش «أطوع الناس لمخلوق وأعصاهم للخالق عصاة الجبار، وحلفة الأشرار»[4].

---

١ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١٤.

٢ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٠.

٣ ـ صلح الحسن: ١٠٢ عن الراوندي ـ الخرايج والجرايح: ٢٢٨ طبع ايران.

٤ ـ المسعودي ـ مروج الذهب: ٦ / ١١٩هامش الكامل في التاريخ لابن الاثير طبعة مصر.

(٢)

معاوية يمارس دور الترغيب والترهيب

انتهى دور الحرب الباردة بين الطرفين، وكذلك تم دور التعبئة والاستعداد، وزحف الجيشان إلى اللقاء، واحد يطوي الفيافي من الشام ليصل إلى العراق، والثاني يترك الكوفة متوجها لملاقاة عدوه أينما التقى به في أرض العراق أو خارجه.

أولا ـ المقارنة بين الجيشين:

وكما تنص المصادر التاريخية بأن الجيشين أصبحا على مسافة قصيرة تفصل بينهما، فهما على مقربة من بغداد، وأن الاحتكاك بين الجيشين بات وشيكاً خاصة وأن الكتيبة التي قادها عبيد الله بن عباس[١] تخص القادة والمخلصين للإمام الحسن عليه السلام وعدداً من المقاتلين حددتهم بعض المصادر: باثني عشر ألف مقاتل[٢]. ووقفت

---

١ ـ عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، كان أصغر من أخيه عبد الله بسنة، ولد عام ١للهجرة ولاه الإمام علي (ع) اليمن، وقتل ولداه في اليمن حينما غزا جيش معاوية اليمن، وكان من قادة جيش الامام الحسن في معركته مع معاوية، ومال إلى معاوية، وترك جيش ابن عمه، ومات بالمدينة عام ٨٧ هـ ترجمه: الزركلي ـ الاعلام: ٤ / ١٩٤ .

٢ ـ ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ: ٣ / ٦٣ .

طلائعه في مواجهة جيش الشام في «مسكن»[1]. وعسكر الإمام ببقية جيشه في المدائن[2]، وقد ذهبت بعض المصادر إلى أن عدد جيش إمام الحسن بلغ أربعين ألف مقاتل أو أكثر[3].

ليس المهم في عدد الجيش الكوفي الذي أعُد لحرب جيش الشام، إنما المهم في معنوياته، ومدى استعداده لدخول المعركة وخوض غمارها، وإذا حاولنا تقيمه من حيث الكفاءة العسكرية نرى:

١ ـ أنه مثقل ومنهك بثلاث حروب عصيبة مرت عليه في عهد الإمام علي عليه السلام أرهقت كاهله، فمل أفراده القتال وخوض غمار الحروب.

٢ ـ كانت تركيبته غير مؤتلفة ـ كما مر علينا ـ والكثير منهم لم يلتحق بالمعسكر الحسني بدافع إيماني وعقائدي إنما بأمل الغنائم والطمع، وأصحاب عصبية اندفعوا وراء زعمائهم.

٣ ـ أن قسماً من الخوارج كانوا في الجيش، وهؤلاء لم يندفعوا مع الحسن إلا لغرض قتال معاوية الذي كان في رأيهم بطل التحكيم في صفين، وعنصر الخوارج كانوا لا يتقيدون بقيادة، ويرتجلون المواقف دون أي حساب لها.

في حين يقابلهم جيش معاوية، وهو:

أ ـ لم يعان إلا من حرب واحدة، وهي صفين، وبعدها تمكن

---

١ ـ مسكن من قرى بغداد، بينهما عشر ة فراسخ، وتعرف الان بـ «سميكة» راجع الحموي ـ معجم البلدان ٨ / ٥٤ ، وآل راضي ـ المصدر السابق: ١٠٣ ـ١٠٤هامش ١.

٢ ـ المدائن، قرب بغداد، وتعرف اليوم بـ «سلمان باك»، وفيها طاق كسرى .

٣ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٢٦، والطبري ـ تاريخ الامم والملوك: ٦ / ٩٤ .

معاوية من بناء قوته العسكرية، بعدما كان على شفا جرف من الانهيار أمام ضربات جيش الإمام، وكاد يقضي عليه لو لم تفوز خديعة التحكيم.

ب - وأنه قوي وانضباطي، وقد وصفه معاوية يوماً بأنه أطوع جند وأقلهم خلافاً[1].

ج - أن قادته كانوا يعملون بكل حرارة وحماس من أجل إيصال معاوية إلى تحقيق أهدافه التوسعية، وآماله الدنيوية، وبأي أسلوب من الأساليب التي تقتضيها تنفيذ ما يهدف إليه.

د - أن سياسة معاوية كانت تعتمد الترغيب والترهيب، وهذا الأسلوب له تأثيره على الجماهير الساذجة، والبسطاء من الناس لأنها آخذة، وينقاد إليها أصحاب المطامع.

ثانياً ـ العامل النفسي ومدى تأثيره:

لقد لاحظ معاوية - بواسطة - جواسيسه ضخامة جيش الإمام الحسن عليه السلام، وأنه يضم قادة ومخلصين لأبي محمد الحسن، وأن هؤلاء في إمكانهم إدارة الحرب، وكسب المعركة لصالح الحسن، لأنهم مؤمنون بقضيتهم وإمامهم فلن يتزحزحوا إلا بالنصر أو الموت، وحين أستعرض هذا الأمر مع قادته، خططوا ممارسة «العامل النفسي» مع قادة جيش الحسن، ولديهم الإمكانية لذلك، فلا معاوية ولا قادة جيشه يتورعون عن ارتكاب أي طريقة توصلهم إلى الهدف حتى وإن

---

١ ـ د. ابراهيم بيضون ـ التوابون: ٥١ .

كانت مخالفة للقيم الإنسانية والمثل الإسلامية، وبعد المداولة فيما بينهم وضعوا خطة لذلك، ويمكن تصورها بالآتي:

١ ـ بث الإشاعات في جيش الحسن بأنه«كاتب معاوية على الصلح، فلِمَ تقتلون أنفسكم»[١]. وأن أغلب القادة والأشراف يسالمون معاوية. وكان لهذه الشائعات أثرها الكبير في تفتيت وحدة الجيش الكوفي، وانهيار معنوياته.

٢ ـ أنه أغرى عبيد الله بن العباس حتى جذبه إليه، فقد كتب إليه: «إن الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، أعجل لك في هذا الوقت نصفها، فإن دخلت الكوفة النصف الآخر»[٢]. ولم تمر عليه سواد ليلة بعد هذه الرسالة حتى تسلل في غلس الليلة الثانية إلى معسكر معاوية ومعه ثمانية الآف من جيشه[٣].

٣ ـ أخذ معاوية يسقط القائد تلو القائد بترغيبه وترهيبه، كما تتحدث الرواية فتقول: «ثم إن (الإمام)الحسن بعث لمعاوية قائداً من كتيبة كندة في أربعة الأف فلما نزل (الانبار) بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم، ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة فصار إليه في مائتين من خاصته»[٤].

---

١ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ١٥ .

٢ ـ ابن ابي الحديد ـ المصدر السابق: ٤ / ٢٨ .

٣ ـ اليعقوبي ـ تاريخه: ٢ / ٢١٤ .

٤ ـ الامين ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٢٢ .

ثم بعث الحسن رجلا من مراد ففعل كالأول، بعد ما حلف للحسن ـ بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال ـ أنه لا يفعل[1].

٤ ـ لقد تمكن معاوية من أغراء رؤساء ربيعة، والتي كانت درعاً حصيناً للإمام، فقد جاءه خالد بن معمر ـ زعيم هذه القبيلة ـ فقال له: أبايعك عن ربيعة كلها، وبايعه على ذلك، وفيه يقول الشاعر مخاطباً معاوية:

معاوية أكرم خالد ابن معمر فإنك لولا خالد لم تؤمر[2]

وكذلك بايع معاوية سراً عثمان بن شرحبيل ـ زعيم بني تميم ـ وقد شاعت تلك الخيانة[3] في جميع كتائب الجيش.

٥ ـ أرسل معاوية المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن الحكم إلى الإمام الحسن ليفاوضوه في أمر الحرب، وهم يحملون كتب أهل العراق ليطلع عليها الإمام، وأنهم تعهدوا له أن يسلموه الحسن كيفما أراد، إن سلماً أو مقتولاً، وأكد هذا الأمر الشيخ المفيد حيث يقول: «وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السر، واستحثوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام عند دنوه من عسكره أو الفتك به»[4].

٦ ـ إن هذا الوفد نفسه بعد ما خرج من عند الإمام الحسن عليه السلام وفشل في إقناعه على التراجع أو الصلح، ولاحظ أعضاء الوفد أنه مصمم على القتال، وعدم قبوله للدخول فيما يدعونه إليه نشروا بين

---

١ ـ الامين ـ المصدر السابق: ٤ / ٢٢ .

٢ ـ القرشي ـ حياة الإمام الحسن بن علي: ٢ / ٧٢ عن البلاذري ـ أنساب الاشراف ق١ج١ص٢٢٣ .

٣ ـ القرشي ـ المصدر المتقدم: ٢ / ٧٢ .

٤ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٤ .

أفراد الجيش ـ لإيقاع الفتنة بينهم ـ : «أن الله قد حقق بابن رسول الله ﷺ حقن الدماء، وسكن الفتنة، وأجاب إلى الصلح» ولما سمعوا بهذه المقالة، اضطربوا اضطراباً شديداً، ووثبوا على الإمام فانتهبوا مضاربه وأمتعته[1].

٧ ـ إن معاوية أرسل عبد الله بن عامر أحد مستشاريه إلى جيش الإمام الحسن بأن يدعو في صفوفه إلى السلام، وحقن الدماء، فانطلق هو وأعوانه ينادي في الجيش الحسني:

«يا أهل العراق، أن معاوية ـ في جموع أهل الشام ـ يقول: أقرءوا أبا محمد (الحسن) عني السلام وقولوا له: أنشدك الله في نفسك، وأنفس هذه الجماعة التي معك».

وحين سمع الجيش هذا النداء استطابوه، واستلذوه، وأخذ بعضهم يخذل بعضاً، فقد سئموا القتال وكرهوا الحرب، وخلدوا إلى الراحة والدعة[2].

أساليب ملتوية يسلكها معاوية في سلمه وحربه ولا يتحرج منها مهما كانت الوسيلة فالغاية ـ في عرفه ـ تبرر كل وسيلة حتى وإن كانت غير أخلاقية، وهو نفس الأسلوب الذي مارسه مع الإمام علي من قبل في صفين، وهو مسلك قائم على الغدر والخيانة، وقد اعترف نفسه بذلك حيث قال: «لقد حاربت علياً بصفين بغير جيش ولا عتاد»[3]. وبواسطتها تمكن من إثارة البلبلة والفزع في صفوف الجيش

---

١ ـ اليعقوبي ـ تاريخه: ٢ / ١٩١ ولزيادة الإطلاع راجع ابن ابي الحديد ـ المصدر المتقدم، والمجلسي ـ بحار الأنوار، والقرشي ـ المصدر المتقدم.

٢ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٢٠٠.

٣ ـ البلاذري ـ أنساب الأشراف: ١ / ق١ / ٢٠٠، وراجع القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ١١٢.

الكوفي، وخاصة بعد أن وصلت أنباء فرار الآلاف من معسكرهم، والتحاقهم بمعسكر معاوية، وقد بدأت روح التخاذل تسيطر على بقية الجيش، وظهرت بوادر التمرد عليه، فإن غالبية هؤلاء لم يخرجوا مع الحسن عليه السلام عن عقيدة وإيمان بل لمصالح شخصية، ومطامع مادية، ومعاوية خبر فيهم هذه الخاصة، وبدأ معهم بطريقته المعهودة، وأسلوبه «الميكافيلي»، فالغاية تبرر الوسيلة عنده مهما كانت نوع الوسيلة حتى ولو كانت شاذة لم يألفها قومه وعصره.

إن معاوية تقلب في أطوار شتى كلها تخلو من محمدة تذكر، وخصيصة تقدر:

إنه محارب لرسول الله صلى الله عليه وآله في بدر، فقد سئل هشام بن الحكم عن معاوية أشهد بدراً؟ فقال: نعم من ذاك الجانب[1].

فطليق من طلقاء يوم فتح مكة، وصعلوك لا مال له، فقد ذكر أن امرأة استشارت النبي صلى الله عليه وآله في أن تتزوج من معاوية، فقال: «إنه صعلوك لا مال له».[2]

كان يركض حافياً بغير نعل تحت ركاب علقمة بن وائل الحضرمي في المدينة[3].

إن هذا الرجل الوضيع الذي وصف بأنه صعلوك يركض في موكب علقمة يصبح دفعة والياً على الشام من قبل الخليفتين عمر وعثمان لمدة عشرين عاماً، وقد عرف كيف يركز نفسه في الشام

---

١ ـ ابن النديم ـ الفهرست: ٢٤٩ .

٢ ـ الدميري ـ حياة الحيوان: ١ / ٥٩ .

٣ ـ البيهقي ـ المحاسن والمساوي: ١ / ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

يصبح الآمر المطاع فيها، ويقدم على محاربة إمامين علي والحسن من بعده، ويختطف السلطة من بيت علي ليكوّن دولة ذات تاريخ عريض، حتى يقول هو نفسه: «والله ما بقي شيء يصيبه الناس من الدنيا إلا وقد أصبته»[1].

إنما الخصيصة البارزة فيه: «إنه الرجل الذي لا تفوته الفرص السانحة من مأزق خصومه، وكان هو ـ قبل كل شيء ـ الصناع المفن في بعث هذه المآزق، واستغلال فرصها، وكانت هذه هي موهبته، وبرع فيها البراعة بأقصى حدودها»[2].

كيفما كان، فإن معاوية نجح إلى حد كبير في تمزيق جيش الإمام الحسن عليه السلام بأسلوبه الفج الكاذب، حيث أغرى الناس، واشترى ضمائرهم بالمال، والجاه والوعد والوعيد، ولكنه رغم ذلك كله لم يحسم الموقف ففي الجيش الحسني أمثال: قيس بن سعد بن عبادة، وعدي بن حاتم، ومعقل بن رياح التميمي وأمثالهم، وقد حاول معاوية وبذل كل الجهد في استمالة قيس بن سعد بن عبادة إلى جانبه فلم يتمكن، ولما يأس من ذلك عمد إلى أسلوبه الخاص، وهو الدس والبهتان والكذب والخديعة. تقول الرواية: إن معاوية دس في معسكر المدائن مَن يقول: بأن قيس بن سعد قائد الكتيبة المعسكرة في مسكن بعد فرار عبيد الله بن العباس قد صالح معاوية وصار معه[3]. ولم

---

١ ـ البيهقي ـ المصدر المتقدم: ١ / ٤٣٦ طبع القاهرة / مطبعة نهضة مصر تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

٢ ـ آل راضي ـ المصدر السابق: ١٥٤ .

٣ ـ اليعقوبي ـ تاريخه: ٢ / ١٩١ .

يكتف بذلك بل وجه جماعة أخرى تعلن في المدائن بأن قيساً قتل فانفروا[1].

وهذا يكفي لإثارة البلبلة في الجيش وفزعها، وتسرب الفوضى في أرجاء المعسكر، ودب الرعب فيه، ورغم المحاولات المتعددة من أصحاب الإمام في تخفيف روع المذعورين، فقد استغل الخوارج الفرصة الذهبية ـ ارتباك الجيش ـ وإشعال نار القلق والفتنة، وكاد أن يؤدي إلى تحقيق أهدافهم، وانفلات الأمر بين قادة الجيش الحسني.

والإمام بعد أن لمس كل هذه المواقف الخيانية من قادة جيشه وأفراده «ازداد بصيرة بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة (الخوارج) فيه بما أظهروه له من السب والتكفير له، واستحلال دمه، ونهب أمواله»[2].

لم يكن الإمام الحسن بعيداً عن الحقيقة المرة التي مني بها، وهو يشاهد أغلب قادته، وهم يتخذون الليل جملاً لمعسكر معاوية، لا إيماناً بأحقيته بالخلافة، قطعاً هذا الأمر غير وارد في حسابهم، إنما هي الدنيا يتكالبون عليها، وهذا شبح الخيبة يرسم أمامه بعداً عميقاً. إن هذا الجيش الكوفي كان الأمل الوحيد للإمام الحسن أن يحارب به معاوية، وإذا كان استصلاح هذا الجيش بعد هذه البوادر الخطيرة التخاذلية، بل الاستسلامية فإن الوضع المستقبلي لحالة الإمام السياسية أصبحت واضحة للغاية، وقد أثر عنه عليه السلام كلمات كثيرة جاشت بها نفسه الكريمة تعبيراً عن ضعف ثقته بجيشه، ولعل من أبلغ ما أفضى به في

---

١ ـ اليعقوبي ـ المصدر السابق: ٢ / ١٩١.

٢ ـ المفيد ـ الإرشاد: ٢ / ١٠.

هذا الموقف الحساس المؤلم خطابه الذي ألقاه بالبقية الباقية من جيشه في المدائن، قال فيه:

«.... وكنتم في مسيركم إلى صفين، ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، وأنتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون عليه، وقتيل بالنهروان تطلبون منا بثأره، فأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر»[1].

ألا إن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وإن أردتم الحياة قبلناه، وأخذنا لكم الرضا.

وتضيف الرواية فتقول:

فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية»[2].

إن هذه الحقيقة الخطيرة تنادى بها أفراد الجيش الحسني مطالبين قائدهم وإمامهم الحسن بن علي عليه السلام حل المشكلة بصورة بعيدة عن القتال، وإذا كان هذا النداء مظهره خلاباً مقبولاً، لأنه يضمن حياة الاف المسلمين من القتال، ولكنه وياللاسف يتضمن الخيانة والغدر والفرار من مسؤولية شرعية هامة ستقرر تغيير وضع المسيرة للإسلام.

---

١ ـ لقد قصد الإمام بالباكي الثأر إلى الكثرة من أصحابه وخاصته.، وبالطالب الثائر إلى الخوارج الموجودين في معسكره، وما كان ثأرهم الذي يعنيه إلا عنده، ويقصد بالخاذل على العناصر الأخرى من أصحاب الفتن، وأتباع المطامع، وعبدة الأهواء. راجع آل ياسين ـ المصدر السابق: ١٣٣.

٢ ـ ابن الاثير ـ المصدر السابق والأمين ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٢٤

(٣)

النتيجة الحاسمة للمعركة

من مجموع ما تقدم نستطيع أن نستلخص الآتي:

١ ـ إن الإمام الحسن عليه السلام أستعد لمقاتلة معاوية، ودفع بالجماهير للخروج إلى حربه وزاد في عطاء المقاتلين مائة بمائة ترغيباً على تحمل أعباء الحرب، وتهيئةً لإعدادهم إعداداً كاملاً من حيث العدة والعدد، والاستعداد النفسي، وأنه واجه هذا الأمر بمنتهى الجدية والحزم كما لم يساوره أدنى تردد، أو تخاذل في موقفه من الحرب مع معاوية[1].

٢ ـ لقد برز عنصر الخيانة والغدر في قادة جيش الإمام الحسن عليه السلام وبصورة مريعة وفظيعة سبب انهيار معنويات الجيش، وتذبذبه بين الالتزام، والانهزامية على أغلبية الجيش، ولكن بتوالي الأحداث المضادة للجيش الحسني طغت على الروح الانهزامية على أغلبية الجيش، وأدى إلى شيوع التهرب والتخاذل فيهم عن تحمل المسؤولية العسكرية وفقدان الانضباط فيهم.

٣ ـ وكان لمجموع الخوارج الأثر في إرباك الجيش الحسني، فهم

---

١ ـ د. بيضون: التوابون: ٤٩ ـ ٥٠.

كانوا قد خرجوا مع جيش الإمام الحسن عليه السلام بغية قتال معاوية لما ضمروه له من كره وعداء من يوم التحكيم في صفين، وقد حاولوا بلون وآخر اغتيال الإمام الحسن عليه السلام عدة مرات على أساس أنه «أشرك كما أشرك أبوه من قبل»، لأنه يريد أن يصالح معاوية، ويسلم الأمر إليه كما قبل الإمام بمبدأ التحكيم[1]. وقد استغل معاوية هذه الفئة لإثارة المحن والقلائل على الإمام وجيشه في مسيرته هذه، وهم لا يفرقون بين هذا وذاك فالأمر سيان في حسابهم معاوية أم الإمام الحسن.

٤ ـ إن معاوية بذل الأموال الطائلة في سبيل تفتيت الجيش الحسني، وتمزيق وحدة صفه، وإن هناك الكثير من أصحاب النفوس الضعيفة، والمطامع المادية مَن يصرح بدون خجل: «مَن أعطانا الدراهم قاتلنا معه» وهؤلاء يعرفون اليوم بـ «جيش المرتزقة»، وقد هجا بعض الشعراء شخصاً قتل في إحدى المعارك، فقال:

ولا في سبيل الله لاقى حمامه أبوكم ولكن في سبيل الدراهم[2]

٥ ـ إن الطرف المقابل للإمام عليه السلام هو معاوية بن أبي سفيان، ذلك الإنسان الذي لا يقف في وجهه حاجز من خشية الله إذا أراد شيئاً لنفسه، ولا عرف للقيم الإنسانية مثالا يهرع إليه عند التباهي، ويكفي أن النبي العظيم صلى الله عليه وآله قال له يوماً: «لتتخذن يا معاوية البدعة سنة والقبيح حسناً»[3].

---

١ ـ راجع القرشي ـ المصدر المتقدم: ٢ / ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٢ ـ الطبري ـ المصدر المتقدم: ٢ / ١٩ .

٣ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٧٩ .

إن الحرب عند هذا الرجل مكيدة وخداع واعتداء، ولقد سردنا الكثير من الكذب والبهتان التي أطلقها لتخذيل الجيش الحسني، وتشتيت شمله، وقد فاز بنتائجها التي حققت له ما يروم.

والإمام الحسن عليه السلام روح أبيه علي عليه السلام بين جنبيه، فكما للسلم حساب لدى الإمام كذلك للحرب حساب لديه، فالقيم الأخلاقية عنده سيان في حربه وسلمه، ومن هنا نرى أن الإمام الحسن لا يتعامل في حربه بالأسلوب الذي تعامل معه معاوية في الترغيب والترهيب في تفتيت جيشه.

لماذا لم يحارب الإمام الحسن كما حارب الإمام الحسين؟

السؤال المركزي الذي يخالج كل محلل وكاتب في حياة الإمام الحسن عليه السلام لماذا جمد مشروع الحرب مع معاوية، ولو بالبقية الباقية من جيشه، مهما كانت النتائج؟

الإمام الحسن عليه السلام بعيد الغور في تفكيره، وكان يشعر بمسؤولية دينية تجاه الأمة بحكم منصبه الديني كإمام، وإنسانيته الفذة، وأنه لو استمر في هذه المعركة فإنها لا تنتهي في صالحه لأسباب، هي:

١ ـ أن موازين القوى العسكرية غير متكافئة بينه وبين أعدائه، خاصة بعد التخلخل الذي أصاب جيشه وظهور الانتهازية فيه[1].

٢ ـ أن الإمام لو خاطر وغامر في الحرب بجيش ضعيف وممزق سيؤدي إلى قتل البقية الباقية من رجالاته المخلصين الذين يمكن أن يخلقوا مواقف ثورية في وجه معاوية على امتداد الزمن، حينما تربى

---

١ ـ د.بيضون ـ التوابون: ٥٤ .

الجماهير بواقع معاوية الذي يعترف أمام الرأي العام بعد دخوله الكوفة: إني لم أحاربكم لتصوموا أو لتصلوا، إنما حاربتكم لأتأمر عليكم، وقد حصلت على ذلك.

٣ ـ أن الإمام قدّر أنه يستطيع لو بقي حياً وبمساعدة جماعته الذين لم يسل لعابهم إلى إغراء معاوية أن يعيدوا بناء الجيش الحسني مرة أخرى، ويعده إعدادا كاملاً لمقارعة الباطل والطغيان، وخاصة وأن معدات الثورة موجودة معه، وهي تغلي في نفوس المؤمنين من دعاة الحق لتنفجر بركاناً يهدد كيان النظام الأموي.

٤ ـ لو حارب معاوية وخسر المعركة فإنه ـ والحالة هذه ـ لا يستطيع أن يملي عليه شروطاً دينية وإنسانية لعلها تحد من مروقه على الإسلام والمسلمين.

٥ ـ أن الإمام لو حارب فإن معاوية لم يتحرج من اجتثاث آل علي عليهم السلام وتصفيتهم للتخلص منهم في مقدمتهم أخيه الحسين عليه السلام فتنقطع الإمامة.

نعود للسؤال المركزي الذي تقدم طرحه في بداية الحديث: لماذا لم يحارب الحسن كما حارب الحسين، والموقف كما يبدو متشابه؟

الجواب أن الظرف الذي حارب فيه الإمام الحسين يختلف كل الاختلاف عن ظرف الإمام الحسن عليه السلام ويمكن تلخيصه بالآتي:

١ ـ إن معاوية يختلف عن ولده يزيد، فقد كان عدد من الصحابة والتابعين يساعدون معاوية على وصوله لسدة السلطة، في حين يزيد يفقد مثل هذا الدعم لعدم أهليته لسوء سلوكه الفاضح.

٢ ـ إن معاوية كان لا يتظاهر باللامبالاة بالدين، كما هو الشأن في وضع يزيد المتجاهر بالفسق والفجور.

٣ ـ إن معاوية كان بعيد الغور يحسب لكل قضية حسابها، ولهذا ما كان يقوم به ضد الإمام علي ﷺ إلا بحجة الثأر لقتل عثمان، ويزيد أخذ الناس بالقتل والدمار لأنهم رفضوا بيعته، والفرق بينه وبين أبيه كبير.

٤ ـ إن الإمام الحسين كان مضطراً لهز المجتمع الذي تزعمه حاكم نزق تجاهر بهتك الدين في أعماله وأفعاله، فقد استباح المحرمات، وهتك الحرمات، فكان لتضحية الحسين الأثر الفاعل في مقاومة التيار اليزيدي من بعد فترة قصيرة أقضت مضاجع الأمويين.

هذا موجز الأسباب الرئيسة التي أدت إلى اضطرار الإمام الحسن لتجنب الحرب مع معاوية، وعقد هدنة معه لفترة من الزمن كي يستطيع تهيئة جيش يتحمل إعداد المعركة الفاصلة بينه وبين معاوية، ولكن ابن أبي سفيان فاجأ المجتمع الإسلامي بانقلاب على سلطة الإمام الحسن.

وكان الإمام أمام خيارين لا ثالث لهما: إما عقد الهدنة أو القتال، فأقر الإمام الخيار الأول وهو المهادنة، لأنها أهون الشرين نظراً لما فيها من المصلحة الوقتية.

الباب الثاني

أهدنة أم صلح

الباب الثاني

أهدنة أم صلح

ويضم ثلاثة فصول:

الفصل الأول ــ وثيقة ما يسمى بالصلح

الفصل الثاني ــ الدعم المعنوي لترسيخ نظرية الصلح

الفصل الثالث ــ الدعم المادي والنفسي

الفصل الأول

وثيقة ما يسمى بمعاهدة الصلح

ويضم ثلاثة بحوث:

١ ــ نص الوثيقة ومصادرها

٢ ــ مناقشة المصادر

٣ ــ استكشاف الحقيقة

(١)

نص الوثيقة ومصادرها

مما تقدم اتضح أن الإمام الحسن عليه السلام كان مضطراً لتجنب الحرب مع معاوية للأسباب المشار إليها، وأنه قبل اختيار المهادنة مرغماً، بسبب إصرار جمهور جيشه المتبقي معه، ولم يهرب إلى معاوية كما هرب الآخرون، لأنهم آثروا السلامة على القتال، والعافية على المكروه، ومَن للإمام الحسن عليه السلام ـ والحالة هذه ـ أن يدفع به إلى غمار حرب لا يعرف غورها وبعُدها إلا الله، وهل يصح له أن يغامر بالصفوة المؤمنة، والبقية الباقية من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، وأبيه الإمام علي عليه السلام، وهو نفسه يقدر أنها حرب خاسرة مهما كانت عمر المدافعة والصمود. كان عليه أن يساير تيار جيشه الذي يختار السلام على الحرب، ويختار ما يختاروه، ويعتمد ميثاق ينظم وقف الحرب، كما رضا أبوه بالتحكيم من قبل، وهو له كاره ومعارض ومحرج.

وعلى كل، فقد اضطر الإمام إلى قبول تنظيم «ميثاق» يحدد مسؤولية الطرفين عن تنفيذ الميثاق الذي يتكفل وقف الحرب بين المتحاربين، وأن هذا الميثاق اضطربت أقوال المؤرخين في طبيعته، وتوسعت كلمات المحللين في ماهيته، وصار كل واحد يصفه بما يراه حسب أهوائه وما يوحيه له ضميره.

قالوا عنه: إن الإمام صالح معاوية على تسليم الخلافة له!!

وآخر أدعى: أنه باع الخلافة بالمال والعطاء.!!

وثالث يرى: أنه سلم الأمر لمعاوية مقابل شروط، ترمي إلى حفظ آل علي وشيعته من سطوة معاوية، وحفظ حقوقهم المالية!!

وهكذا أخذت الأقوال تترى على أقلام المؤرخين والكتاب بما تنهي إليه اجتهاداتهم وأهوائهم، والكثير منها غير مقبولة وغير واقعية، وغالبهم طغت عليهم عواطفهم ومصالحهم، وتناسوا أن رسول الله ﷺ قال عنه وعن أخيه الحسين عليهما السلام: «إمامان إن قاما وإن قعدا» فلابد أن ننظر إلى ما يصدر عنهما من هذا المنظور النبوي، الذي ينص على عصمتهما من الخطأ، وتنزيههما عن المصالح الدنيوية، وكل ما يتخذه الإمام من موقف فهو يقدر المصلحة للأمة.

والإمام الحسن عليه السلام حين اتخذ قراراً خطيراً بشأن عدم الحرب فهو أولاً: قد أستشف رأي جماهيره فكلهم طالب بعدم الحرب، وثانياً: أن غالبية قادة جيشه خانوه وخذلوه، ومع هذا فقد عمل ما يمكن عمله في مثل هذه الأحوال الخطيرة، وهي المهادنة حسبما توصل إليه الطرفان من حقن الدماء.

غير أن النقطة الجديرة بالبحث هي أن «الميثاق» الذي أوقف الحرب، هل هو «صلح» بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، أم وثيقة «هدنة» لوقت محدد لوقف الحرب؟

السؤال المركزي ـ وعلى الأخذ بأي من الرأيين ـ تترتب عليه أمور خطيرة للغاية لابد من ملاحظتها نظراً لأهميتها، ومن الضروري أن نكون موضوعيين في بحثنا هذا، ولا نميل لجانب قبل استجلاء

الحقيقة من خلال ما كتبه المؤرخون الإسلاميون في هذا الصدد.

وقبل أن نلج أبواب المؤرخين نجد وثيقة تم الاتفاق عليها بين الإمام الحسن ومعاوية، ذكرها علي بن محمد، المعروف بابن الصباغ المالكي المكي المتوفى عام ٨٥٥ في كتابه «الفصول المهمة»[١] ونصها الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان صالحه على:

أن يسلمه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله، وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين.

وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر شورى بين المسلمين،

وعلى أن الناس آمنون على أنفسهم، وأموالهم حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم، وعراقهم، وحجازهم.

وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم ونسائهم، وأولادهم حيث كانوا. وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه.

وعلى أن لا يبغي (معاوية) للحسن بن علي، ولأخيه، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سوء، سواء سراً أو جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق. وكفى بالله شهيدا»[٢].

---

١ ـ طبع هذا الكتاب في النجف في مطبعة العدل.

٢ ـ ابن الصباغ المالكي ـ الفصول المهمة: ١٦٣ طبعة النجف مطبعة العدل.

هذه الصورة لوثيقة «الصلح» كما يسميها ابن الصباغ المالكي من أعلام القرن التاسع الهجري بين قادة المتحاربين الإمام الحسن ومعاوية بن أبي سفيان، وفي حدود إطلاعي لم أجدها في أي مصدر يسبق القرن التاسع الهجري، وقد اختلف المؤرخون الذين تناولوا موضوع الحرب وما انتهت إليه.

ولنا على هذا الكتاب المشار إليه، وبالصورة المذكورة مناقشة من حيث السند والمضمون.

أولا ـ من حيث السند:

إن ابن الصباغ حينما ذكر كتاب الصلح لم يذيله بذكر مصدر اعتماده له، كما لم يشر إلى أي راوٍ أو رواية، وإنما اكتفى في بداية حديثه عن أخبار الإمام الحسن، ومدة خلافته، ومهادنته، ثم قال بعد ذلك: «روى جماعة من أصحاب السير وغيرهم....»[1].

ومن الطبيعي أن يعتمد المتأخر على المتقدم، وحين نستعرض أقوال المؤرخين نرى تضارب أقوالهم في هذه القضية الهامة الخطيرة كما سنعرضها بإيجاز حسب التسلسل الزمني لحد تاريخ ابن الصباغ المالكي في القرن التاسع الهجري:

١ ـ محمد بن مسلم المعروف بابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ قال في هذه القضية ما نصه:

إن الحسن بعدما «تمت البيعة له، وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية، فأتاه وخلا به فاصطلح معه على: أن لمعاوية الإمامة ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن، فلما تم صلحهما صعد

---

١ ـ ابن الصباغ ـ المصدر المتقدم: ١٦٠.

الحسن على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد كانت لكم لي في رقابكم بيعة تحاربون مَن حاربت، وتسالمون مَن سالمت، وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه، وأن ادري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، وأشار إلى معاوية»[1].

٢ ـ ونقل أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب، المعروف بابن واضح الأخباري، المعروف بـ «اليعقوبي» المتوفى سنة ٢٩٢هـ في هذا الصدد قائلا:

«وقدم معاوية العراق، فغلب على الأمر والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أيها الناس: إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وقد سالمت معاوية، وأن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين»[2].

٣ ـ وذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ روايتين في هذا الموضوع:

أ ـ جاء في الرواية الأولى:

«فلما رأى الحسن تفرق الناس عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح، وبعث معاوية إليه عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، فقدما على الحسن بالمدائن، فأعطياه ما أراد وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة الاف ألف في أشياء

---

١ ـ محمد بن مسلم ابن قتيبة ـ الإمامة والسياسة: ١ / ١٦٣طبع مصر .

٢ ـ اليعقوبي ـ تاريخ اليعقوبي: : ٢ / ٢٠٥ طبع النجف المطبعة الحيدرية ١٩٦٤ .

اشترطها، ثم قام الحسن في أهل العراق، فقال: يا أهل العراق إني سخيت في نفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي. ودخل الناس في طاعة معاوية»[1].

ب ـ وجاء في الرواية الثانية:

«كتب الحسن إلى معاوية في الصلح، وطلب الأمان... فلما انتهى كتاب الحسن بن علي إلى معاوية، أرسل عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة فقدما المدائن، وأعطيا الحسن ما أراد...

وقد كان صالح الحسن معاوية على أن يجعل له ما في بيت ماله، وخراج «دار أبجرد»[2]، وعلى أن لا يشتم علياً، وهو يسمع، وأخذ ما في بيت ماله في الكوفة وكان فيه خمسة الاف ألف»[3].

٤ ـ وتناول أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ هذه الحادثة فذكرها عند سرور معاوية عند سماعه بموت الحسن، قائلا:

«عن الفضل بن ربيعة أنه قال: وفد عبد الله بن العباس على معاوية، قال: فوالله إني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء فكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرضة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف من خوخة لها،

---

١ ـ ابن جرير الطبري ـ تاريخ الامم والملوك: ٥ / ٩٥ طبع مصر المطبعة الحسينية.

٢ ـ دار أبجر، أرض واسعة بفارس على حدود الاهواز فتحها المسلمون عنوة، وجرد او جراد هي البلد أو المدينة بالفارسية القديمة والروسية الحديثة، فتكون داراب جرد بمعنى (مدينة داراب). راجع: البغدادي ـ مراصد الاطلاع: ٢ / ٥٠٥، وآل ياسين ـ المصدر السابق: ٢٦٠ هامش٥ والقرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٢٤٤هـ م٢.

٣ ـ الطبري ـ المصدر السابق: ٥ / ٩٥.

فقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت به؟ قال: موت الحسن، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكت...»[1].

ثم نقل المسعودي بعد هذه الرواية رواية أخرى نصها:

«وفي نسخة أنه لما صالح الحسن معاوية كبر معاوية في الخضراء، وكبر أهل الخضراء، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرضة من خوخة لها، فقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين ما هذا الذي فعلت؟ قال: أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده»[2].

ثم قال المسعودي:

«ولما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة، وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية، وذلك بالكوفة أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما أريد أن يخطب بالناس، قال عمرو: أريد أن يبدو عيّه في الناس بأنه يتكلم في أمور لا يدري ما هي. ولم يزل به حتى أطاعه معاوية، فخطب الناس، وأمر رجلا أن ينادي الحسن بن علي، فقام إليه، فقال: قم يا حسن فكلم الناس.

فقام فتشهد في بديهته، ثم قال:

أما بعد أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا زوال، قال الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿قل إن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون، إنه يعلم الجهر

---

١ ـ المسعودي ـ مروج الذهب: ٢ / ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

٢ ـ المسعودي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٣٠ .

من القول، ويعلم ما تكتمون، وأن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾.

ثم قال في كلامه ذلك:

«يا أهل الكوفة لو لم تُذهل نفسي إلا لثلاث خصال لذُهلت: مقتلكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية فأسمعوا له وأطيعوا.

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله، وطعنوه بالخنجر في جوفه، فلما تيقن ما نزل به انقاد إلى الصلح»[1].

٥ ـ ونقل علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بـ «ابن الأثير» المتوفى عام ٦٣٠ هـ في تاريخه قضية الحسن ومعاوية، فقال:

«فلما رأى الحسن تفرق الناس عنه (في المدائن) كتب إلى معاوية وذكر شروطاً، وقال له: إن أنت أعطيتني هذا فأنا سميع مطيع، وعليك أن تفي لي به.

وقال لأخيه الحسين، وعبد الله بن جعفر: إنني قد راسلت معاوية في الصلح، فقال له الحسين: أنشدك الله أن لا تصدق أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة أبيك، فقال الحسن: أسكت أنا أعلم بالأمر منك.

ويضيف ابن الأثير بعد هذا فيقول:

فلما انتهى كتاب الحسن إلى معاوية أمسكه، وكان قد أرسل عبد الله بن عامر، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس إلى الحسن قبل وصول الكتاب، ومعهما صحيفة بيضاء مختوم على

---

١ ـ المسعودي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٣١

أسفلها. وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك، فلما أتت الصحيفة إلى الحسن اشترط أضعاف الشروط التي سأل معاوية، فأبى ذلك معاوية، وقال له: قد أعطيناك ما كنت تطلب.

فلما اصطلحا قام الحسن في أهل العراق، فقال: يا أهل العراق إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي.

ثم أضاف ابن الأثير:

وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة ومبلغه خمسة ألا ف ألف، وخراج دار أبجرد من فارس، وأن لا يشتم علياً، فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي، فطلب أن لا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك، ثم لم يف له به أيضا»[1].

٦ ـ وروى يوسف بن عبد الله المعروف بـ «ابن عبد البر» المتوفى ٤٦٣هـ هذه القضية بالصورة التالية، قال:

«إن الإمام كتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمور إليه على أن يشترط عليه أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة، والحجاز ولا أهل العراق بشيء كان في أيام أبيه...فبعث إليه معاوية حينئذ برقٍّ أبيض، وقال: أكتب ما شئت فيه وأنا التزمه، فاصطلحا على ذلك، واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده»[2].

٧ ـ أما المؤرخ إسماعيل بن علي المعروف بـ «أبو الفداء» المتوفى ٧٣٢هـ فقد ذكر في هذا الصدد ما يلي:

---

١ ـ ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٠٣طبع بيروت دار الكتاب العربي ١٩٨٥ (الطبعة الخامسة).

٢ ـ ابن عبد البر ـ الاستيعاب: ١ / ٣٧٠ ـ ٣٧١

«وكتب الحسن إلى معاوية، واشترط عليه شروطاً، وقال: إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية إليها. وكان الذي طلبه الحسن: أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة، وخراج دار أبجرد من فارس، وأن لا يسب علياً، فلم يجبه إلى الكف عن سب علي، فطلب الحسن أن لا يشتم عليا وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ثم لم يف له به»[1].

أرجو أن لا أكون قد أطلت الحديث بنقل نصوص المؤرخين الذين سبقوا ابن الصباغ المالكي في حدود إطلاعي على المصادر التي بين يدي فلم أجد نصاً لصورة الكتاب الذي ذكره ابن الصباغ، ولعله حين أرخ هذه الحادثة جمع شتاتها من مجموع هذه المصادر وصاغها بأسلوب رسالة سجلها بمؤلفه كما نقلناها.

---

١ ـ ابو الفداء ـ تاريخ ابي الفداء: ١ / ١٩٢

(٢)

مناقشة المصادر

كيفما كان، فلنا على مجموع هذه النصوص ملاحظات نوردها بإيجاز:

١ ـ إن النصوص التي ثبتناها نراها غير مستقرة على صورة واحدة، وإنما التناقض بينها واضح للغاية، وخاصة:

فيما يتعلق من السابق ـ الحسن أو معاوية ـ بالمطالبة بإنهاء حالة الحرب سواء أكان بالصلح أم الهدنة؟

وتارة تقول الروايات: إن الإمام الحسن كاتب معاوية، وأرسل له كتاباً يقول فيه: إذا أعطيتني شروطي فأنا بالسمع والطاعة.

وأخرى تقول: إن معاوية أرسل للحسن رسولين، وكان معهما صحيفة بيضاء يطلب من الإمام أن يكتب ما يريد من شروط دون قيد.

وأمثال هذه التناقضات في الرواية والنصوص، والمحقق يقف منها موقف الرافض، وخاصة مثل هذا الأمر الخطير، إلا بعد التحقيق والتدقيق ليستجلي الصحيح منها من المجعول.

٢ ـ إن المؤرخ المتأخر يعتمد ـ بطبيعة الحال ـ على المؤرخ المتقدم في ذكر الأخبار السابقة عليه، أما التي يعاصرها فيسجلها حسب مشاهداته، أو سماعه القريب من الحادثة، ولاشك أن الطبري ابن جرير بحسب سبق زمنه كان مصدراً أساسيا للاعتماد عليه من

قبل المؤرخين في عرض القضايا التاريخية، ولعل جل مَن اعتمدهم في عرض قضية الإمام الحسن عليه السلام خاصة ممن أخذ عنهم بالإسماع، وحين نستعرض الروايتين التي ذكرهما في هذا الصدد نراه يعتمد على رواة هم:

١ ـ موسى بن عبد الرحمن المسروقي.٢ ـ وعثمان بن عبد الحميد أو عبد الرحمن المجازي. ٣ ـ وإسماعيل بن راشد. ٤ ـ وزيادة بن عبد الله. ٥ ـ وعوانة بن الحكم. والأخيرين اعتمدهما في الرواية الثانية، وهؤلاء باستثناء المسروقي لم يرد لهم ذكر في كتب الجرح والتعديل بما يمكن الاعتماد به عليهم في قبول حديثهم وروايتهم في مثل هذه المواضيع الحساسة، فعثمان بن عبد الحميد، ذكر أنه روى عن سعيد بن جبير، وإسماعيل بن راشد روى عن موسى بن رياح بن عبيدة وغير هذا لم يرد لهما ذكر في كتب التراجم[١].

أما زياد بن عبد الله، ويكنى أبا السكن، فقد ذكره ابن حجر: بأنه روى عن الشعبي، وعقب ابن حجر بقوله: وقال: النسائي ليس بثقة. وقال ابن معين: ليس بشيء[٢].

أما عوانة بن الحكم فقد قال فيه ابن حجر: كثير الرواية عن التابعين، وقل أن روى حديثاً مسنداً، وأنه كان عثمانياً، يصنع الأخبار لبني أمية[٣].

وإذا كان حال رواة الواقعة بهذه الصورة، فبعضهم لم تعتمد

---

١ ـ ابن أبي حاتم ـ الجرح والتعديل: ٣ / ١٦٩ طبع بيروت دار الأرقم عن الطبعة الأولى ـ حيدر أباد١٩٥٢.

٢ ـ أحمد بن علي بن حجر ـ لسان الميزان: ٢ / ٤٩٥ طبع بيروت مؤسسة الاعلمي١٩٧١.

٣ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١ / ٣٥٨ طبعة مصر الأولى.

عليهم كتب الجرح والتعديل لأنهم غير موثقين في روايتهم، أو لأنهم يصنعون الأخبار لبني أمية تزلفاً وتقرباً. والبعض الأخر غير معروفين عند أصحاب الاختصاص من مترجمي الرجال. لذا يدعو الاحتياط أن لا يعتمد على روايتهم وأخبارهم لتسرب الشك في رواياتهم.

بالإضافة إلى أن موقفنا من الأخبار عن بني أمية يقتضي التروي والحذر، فإن الأخبار التي تروى عن بني أمية ومضمونها في صالحهم لابد أن يتوثق منها لأسباب عديدة، منها:

١ ـ إن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال:

«ويروون (بنو أمية) عن علي عليه السلام أشياء قبيحةً، وعن الحسن والحسين ما يعلم الله أنهم قد رووا في ذلك الباطل والكذب الزور»[١].

٢ ـ وقال ابن أبي الحديد:

إن «معاوية وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»[٢] وغيرهم.

٣ ـ وروى المحدث ابن عرفة، المشهور بـ «نفطويه» ما يلي:

«إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون بها أنوف بني هاشم»[٣].

---

١ ـ كتاب سليم بن قيس: ٤٥ طبع النجف.

٢ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١ / ٣٥٨ طبعة مصر الأولى.

٣ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: : ١١ / ٤٤ الطبعة الثانية تحقيق أبو الفضل إبراهيم. وراجع ابن عقيل ـ النصائح الكافية لمَن يتولى معاوية: ٧٤ .

ومما تقدم ننتهي إلى أن هذه الوثيقة ـ كتاب الصلح ـ كما وضعه ابن الصباغ المالكي يتسرب إليه الشك من حيث السند، وإذا كان كذلك فمجال الطعن على مضامينه وارد ومحتمل.

ولست شاكاً في أن أجهزة معاوية بأساليبها الجهنمية، وإمكاناتها المالية تمكنت من التشويش على أخبار تلك المعركة، وإظهارها بما يخدم مصلحة معاوية، وركزت في أذهان البسطاء بأن الإمام الحسن طلب الصلح مع معاوية، وخلع نفسه عن الخلافة لرجل لم تذكر له في حياته محمدة تؤهله لهذا المنصب الخطير.

ثانياً ـ من حيث المضمون:

وإذا انتقلنا في المناقشة إلى المضمون، وهو الذي يتعلق بما ورد في وثيقة المعاهدة سواء أكانت في الكتاب الذي ذكره ابن الصباغ المالكي، أم ما ورد في نصوص المؤرخين، فإن العقل يقف عند بعض البنود موقف الناقد المشكك، لما فيها من ملابسات وغموض يستبعد أن تصدر عن مثل الإمام، بل وأقطع بذلك. ويمكن إيجاز تلكم الملاحظات بالآتي:

الملاحظة الأولى ـ جاء في وثيقة ابن الصباغ:

«إن الإمام صالح معاوية على أن يسلمه ولاية المسلمين»، كما جاء هذا النص في أكثر الروايات التاريخية.

كما وضع شيخنا المرحوم المحقق الحجة الشيخ عبد الحسين الأميني بحثاً مسهباً عن الوضاعين الكذابين، وصل بعددهم إلى سبعمائة كذابا ووضاعا ممن اعتمدهم الكثير من المؤرخين والكتاب في بحوثهم. راجع كتاب (الغدير: ٥ / ٢٠٩ ـ٢٧٥).

ولنا على هذا البند الإشكالات التالية:

أ ـ ما توحي لنا كلمة «الولاية» ظاهراً أنها انتقال زمام حكم المسلمين من خليفة شرعي نص على شرعيته رسول الله ﷺ إلى رجل تدل الأخبار والأحاديث النبوية على عدم سلامته دينياً، ومثل هذا المركز الخطير لابد أن يتولاه رجل على أن يكون منزهاً من المخالفات الشرعية.

فإذا قلنا: إن المقصود بالولاية هي «الخلافة»، فإن طبيعتها ـ عند قسم من المسلمين ـ مرتبة دينية سماوية تشريفية، وفي هذا الضوء لا يمكن التلاعب فيها من حيث التنازل عنها، والتعامل بها بغير ما هو منصوص عليها، فهي لم تكن في يوم من الأيام غرضاً يمتلكها الشخص ليمكن بيعها أو إهدائها أو التنازل عنها.

فالإمامة ـ عند أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ فيض إلهي، تلي النبوة، يمنحها الله سبحانه عباده الذين اصطفاهم لنفسه وطهرهم تطهيرا، وليس لإمام أن ينزع نفسه منها، أو يعطيها للآخرين ما دامت هذه صفة سماوية، ليس لأفراد البشر فيها أي حساب. والله سبحانه وحده له هذا الحق أن ينسخها، ولا نسخ بين أيدينا في هذا الشأن.

يقول شيخنا المظفر:

«الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي، أو لسان الإمام الذي قبله. وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس،

فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوه، وإذا شاءوا أن يعينوه إماماً لهم عينوه، ومتى شاءوا أن يتركوه تعينه تركوه»[1].

وقد صرّح الإمام الحسن عليه السلام في حديث له أمام معاوية حين خاطبه قائلاً:

«أما الخلافة فلمَن عمل بكتاب الله، وسنة نبيه، وليست الخلافة لمَن خالف كتاب الله، وعطل السنن، إنما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به، وكأنه انقطع عنه، وبقيت تبعاته عليه»[2].

ب - ثم لو سلمنا جدلا بإمكان التنازل عن الخلافة لغير المنصوص عليه، فهل أن معاوية ابن أبي سفيان المعروف بسيرته الدموية واللادينية يصلح لتولي مثل هذا المركز الخطير، من الناحية الشرعية؟

وعند الجواب على مثل هذا الإشكال، فأول ما نرجع إليه في هذا المقام، هو قول صاحب الحق القائم - وهو الإمام الحسن عليه السلام - فقد قال له مرة في رسالة بعثها إليه:

«ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا، وسلطان نبينا، وإن كانوا ذوي فضيلة، وسابقة في الإسلام، وأمسكنا عن منازلتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمونه بها، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده. فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله لا

---

١ - محمد رضا المظفر - عقائد الإمامية: ١٠٣طبع بيروت / دار الزهراء للطباعة والنشر ١٩٨٠ (الطبعة الثالثة).

٢ - القرشي - المصدر المتقدم: ٢ / ٢٩٨ - ٣٠٠.

بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وأنت أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه. والله حسيبك، فسترد فتعلم لمَن عقبى الدار، وبالله لتلقين عن قليل ربك، ثم ليجزينك بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد»[1].

وهذه السطور على وجازتها تدل بوضوح على أن معاوية ليس ذلك الرجل الذي يتحلى بالصفات الإسلامية التي تؤهله لهذا المركز الخطير، فهو ليس أهلاً لهذا المنصب ولا يملك خصائصه «لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود»، ومن الضروري أن تتوفر في المرشح له الخاصتان التي أشار إليهما الإمام الحسن عليه السلام وهما: فضيلة في الدين معروفة، وسابقة في الإسلام محمودة، ومعاوية من كليهما براء.

ج ـ وإذا تجاوزنا قول الإمام الحسن إلى قول أبيه علي عليه السلام لمعاوية في رسالته كتبها إليه يقول فيها:

«وأما قولك (يامعاوية): إنا بنو عبد مناف. فكذلك نحن، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كالمخاتل، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم»[2].

د ـ ثم لنضع قول الإمامين ـ علي والحسن عليهما السلام ـ جانباً بصورة مؤقتة، ونحن لا يداخلنا أي شك في صحة قولهما، وصونهما عن الكذب والزور والبهتان لعصمتهما عن الخطأ، ولكن قد يكون في

---

١ ـ أبو الفرج ـ مقاتل الطالبين: ٦٥ وابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ٤ / ٦٩٨ ـ ٦٩٩ .

٢ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ٤ / ٥٥٢ طبع بيروت.

المسلمين مَن يشك في صحة قولهما، أو يحمل كلامهما على الحسد أو المناوئة، أو أي عمل آخر يدفعهم إلى التردد في حمل أقوالهما محمل الصحة، فهل يصل الشك إلى قول النبي ﷺ ـ استغفر الله ـ الصادق الأمين؟! لقد روي عنه عدة روايات نذكر منها:

«إن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنان يا منان، الآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين»[1].

وفي رواية عن عبد الله بن عمر: «إن معاوية في تابوت في الدرك الأسفل من النار. ولولا كلمة فرعون: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ما كان أحد أسفل من معاوية»[2].

وقال عبد الله بن عمر أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول:

«يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت وهو على غير سنتي...فطلع معاوية»[3].

وفي رواية أخرى قال:

«يطلع عليكم من هذا الفج رجل يحشر على غير ملتي» فطلع معاوية[4].

وروى عبد الله بن عمر: أن رسول الله نظر إلى فج خرج منه أبو سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فلما

---

١ ـ الطبري ـ المصدر السابق: ١١ / ٣٥٧.

٢ ـ ابن مزاحم ـ صفين: ٢١٧.

٣ ـ ابن مزاحم ـ صفين: ٢٢٠.

٤ ـ الطبري ـ المصدر المتقدم: ١١ / ٣٥٧، والاميني ـ الغدير: ١٠ / ١٤١ عن البلاذري في تاريخه الكبير.

نظر إليهم رسول الله ﷺ قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب»[1].

وغير هذا كثير وكثير لا نريد أن نطيل في سرد الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام بشأن معاوية وأنه على غير هدى الإسلام.

السؤال المهم الذي يرتسم أمامنا، بعد هذا، هل يمكن للحسن أن يتنازل عن منصبه السماوي الإلهي (الإمامة) لمثل هذا الرجل على فرض إمكان التنازل، الذي يحشر يوم القيامة على غير ملة رسول الله أو سنته؟.

هـ - وإذا أطمأننا ـ استناداً لما تقدم ـ بأن الإمام الحسن لا يحق له التنازل عن الإمامة لأحد لأنها حق لله يضفيه على مَن يختاره من عباده، لكنه يستطيع الإمام الحسن أن يمثل مَن يشاء في إدارة شؤون الأمة ورعايتها، وقد مثل معاوية لهذه المهمة؟

والجواب: أن هذا مع إمكانه غير مقبول في حق معاوية، لأن المولى لابد أن يكون مثلاً للمولي، وخاصة في القضايا التي تتطلب توفر العدالة، والإيمان. ومعاوية لا يملك شيئاً منها، بشهادة الإمام علي عليه السلام، حيث قال:

«والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس»[2].

الملاحظة الثانية ـ وجاء في الوثيقة البند التالي:

إن الإمام طلب من معاوية أن يسير بالأمة على ضوء كتاب الله

---

١ ـ ابن مزاحم ـ صفين: ٢٢٠.

٢ ـ نهج البلاغة: ٢ / ٢٠٦ .

وسنة رسوله، وسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين.

ولنا على هذا البند من الوثيقة الإشكالات التالية:

١ ـ لا أحسب أن الإمام الحسن عليه السلام يطلب هذا الطلب من معاوية، لأنه يتضمن اعترافاً واضحاً منه ـ إن صح هذا الكتاب ـ بسيرة الخلفاء الثلاثة، ويتناقض مع رأيه في أن الخلافة غصبت من بيتهم من يوم السقيفة، وأنهم أمسكوا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمزاً يثلمون به، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده، ومعناه اعتراف بهم، وهذا بعيد عنه كل البعد.

٢ ـ ثم لو تجاوزنا ذلك عن الأولين، فما هو موقفنا من سيرة عثمان الخليفة الثالث، والانحرافات الخطيرة التي حصلت في عهده، فهل أقرها الإمام الحسن عليه السلام وصححها؟ وهذا أبعد مما مضى كل البعد، لأننا رأينا نقد الإمام علي عليه السلام لعثمان في تجاوزاته الكثيرة التي أثارت عليه نقمة الجماهير.

نعم لو أن معاوية وضع هذا الشرط دون رأي الحسن لما توجه هذا الإشكال، كما حدث لعهد الخليفة عمر في موضوع الشورى، حيث أدخل الإمام علي عليه السلام في أفراد مَن يخلفه فكان واحداً من الستة وهو لا يدري، ولا يملك الإمام علي حينها حق الرفض، لأنه قرره غيره، ولو خلي وطبعه لما رضا بذلك.

الملاحظة الثالثة ـ وجاء في الوثيقة البند التالي:

إن الإمام الحسن طلب من معاوية جعل الأمر من بعده شورى للمسلمين.

وهذا الادعاء مردود من ناحيتين:

١ ـ إن الخلافة لدى الإمام الحسن عليه السلام لا تكون شورى، وإنما هي نص إلهي لا دخل للأمة فيه، فكيف يجوز للإمام الزكي أن يطلب من معاوية أمراً فيه مخالفة لله سبحانه، وشرطه للشورى معناه قبوله لهذا المبدأ، وهو خلاف عقيدته؟!

٢ ـ إنها معارضة برواية أخرى جاء فيها: «وليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده، والأمر بعده للحسن»[١]، وفي رواية أخرى زيادة: «فإن حدث به حدث فالأمر للحسين»[٢]. والقاعدة المنطقية تنص إذا تعارضا ـ أي النصان تساقطا لأن كلاً منهما يتسرب إليه الشك، والمشكوك فيه غير معتبر.

هذه أهم النقاط الواردة في الوثيقة، والتي يجب أن تعالج لأنها تمس العقيدة، أما بقية البنود الواردة في الوثيقة فهي واضحة الجعل، ولا حاجة إلى بحثها، مثل أمر مال دار أبجرد، ففي تصوري أن الإمام غير محتاج لمال يطلبه من معاوية فنفسيته أكبر من ذلك، وهو الموصوف بالكرم، وقد يكون إقحام الأمر المالي من قبل القائلين بإثباته على الإمام هو من باب الدس عليه لبيان حاجة الإمام إلى ذلك، وهو أمر جد مستبعد.

ونظراً لهذه الملاحظات الواردة على الوثيقة، بالإضافة إلى

---

١ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٢٣٦ عن الاصابة: ١٣٢٩، وتهذيب التهذيب: ٢٢٢٩، وتهذيب الأسماء: ١ / ١٩٩، والامامة والسياسة: ١ / ١٧١ .

٢ ـ جمال الحسني ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٥٢ ، والقرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٢٣٧ .

معارضتها بروايات أخرى يستفاد من مجموعها التناقض والتشكيك، يدفعنا كل ذلك إلى عدم الاعتراف بكلها، باعتبار أن مثل هذه القضايا يجب أن تكون محددة موثقة لترتب الأثر عليها، خاصة في النواحي العقائدية.

(٣)

استكشاف الحقيقة

الذي انتهي إليه بعد هذا التطواف السريع في أمر ما يسمى بوثيقة الصلح، هو أن الإمام الحسن ﷺ بعد أن اتضح له موقف بعض أصحابه المتخاذل من الحرب كان أمام أمرين لا ثالث لهما: إما الحرب بالبقية الباقية من خيرة أصحابه، أو «مهادنة» معاوية لفترة من الزمن، كي يعود لبناء جيشه من جديد، وإعداده كاملاً، كما كان رأي الإمام علي ﷺ في صفين.

والأمر الأول لم يغامر به الإمام لما فيه من تصفية لبقية أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين علي (عليهما أفضل الصلاة والسلام)، وهم دعامة الإسلام وقوته، وظرف معاوية بحاجة إلى وجود هذه الطبقة التي تنير الطريق للأمة، وتمسح عن عيونهم سحب الضلال، وتلهب قلوبهم بالإيمان.

والثاني وهو «الهدنة» خاصة أن معاوية قد طلبها، كما طلبها سواد جيش الحسن ﷺ، ومن الممكن للإمام أبي محمد ـ لو قبل هذا الخيار ـ أن يخطط:

آ ـ لأسلوب جديد يكشف به نفسية معاوية للملأ المغشوش به.

ب ـ لإتاحة الفرصة له لبناء جيش على مستوى المسؤولية

لتهيئته للعودة إلى الحرب. ومن مجموع هذا يتم له أو لأخيه الحسين هدم الكيان الأموي، وزعيمهم معاوية.

ولهذا كله وافق على إيقاف الحرب، وعقد اتفاقية «هدنة» بين الطرفين عارية عن كل الشروط التي وردت في نصوص المؤرخين، خاصة التي تمس العقائد، اللهم إلا الأمور التي نعتقد بأنها طبيعة، مثل عدم سب الإمام علي عليه السلام، والتعرض لشيعته، وأمثال ذلك.

يعضدنا بذلك شيخنا محمد بن محمد النعمان، المعروف بالمفيد المتوفى عام ٤١٣هـ بما حكاه في هذا الصدد، ويمكن أن يكون أساساً لدراسة موضوعية في هذا الموضوع، قال رحمه الله :

«وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له في السر، واستحثوه على السير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الحسن ذلك.

وورد عليه كتاب قيس بن سعد (رضي الله عنه)، وكان قد أنفذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة، ليلقى معاوية فيرده عن العراق، وجعله أميراً على الجماعة، وقال: «إن أصبت فالأمير قيس بن سعد»، فوصل كتاب ابن سعد يخبره أنهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها «الجنونية» بأزاء مسكن، وأن معاوية أرسل إلى عبيد الله بن عباس يرغبه في المصير إليه، وضمن له ألف ألف درهم، يعجل له منها بالنصف، ويعطيه النصف الأخر عند دخوله إلى الكوفة، فانسل عبيد الله بن العباس في الليل إلى معسكر معاوية في خاصة، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم، فصلى بهم قيس بن سعد (رضي الله عنه) ونظر في أمورهم.

فازدادت بصيرة الحسن ﷺ بخذلان القوم له، وفساد نيات المحكمة (الخوارج) فيه بما أضمروا له من السب والتكفير له، واستحلال دمه، ونهب أمواله، ولم يبق معه مَن يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين ﷺ، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب إليه معاوية في «الهُدنة» والصلح، وأنفذ إليه كتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً، وكان في الوفاء له بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن ﷺ، وعلم احتياله بذلك واغتياله. غير أنه لم يجد بداً من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب، و«إنفاذ الهدنة»، لما كان عليه أصحابه ـ مما وصفناه ـ من ضعف البصائر في حقه، والفساد عليه، والخُلف منهم له، وما انطوى عليه كثير منهم في استحلال دمه، وتسليمه إلى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمه له (عبيد الله بن عباس) ومصيره إلى عدوه، وميل الجمهور منهم إلى العاجلة، وزهدهم في الآجلة.

فتوثق ﷺ لنفسه من معاوية لتوكيد الحجة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه (أي معاوية) عند الله تعالى، وعند كافة المسلمين.

واشترط ترك سب أمير المؤمنين ﷺ، والعدول عن القنوت عليه في الصلوات، وأن يؤمن شيعته، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء ويوصل إلى كل ذي حق منهم حقه. فأجابه معاوية إلى ذلك كله، وعاهده عليه، وحلف له بالوفاء به.

فلما استتمت الهدنة على ذلك، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة،

وكان ذلك في يوم الجمعة، فصلى بالناس ضحى النهار، فخطبهم، وقال في خطبته:

إني والله ما قاتلتكم لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجوا، ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك. ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون.

إلا وأني كنت منيت الحسن أشياء، وأعطيته أشياء، جميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها له»[1].

هذه الصورة الواضحة التي يعرضها مؤرخ ثبت يخشى الله فيما يكتب، وبما يقول، لأنها أمانة التاريخ. ونستطيع من خلال هذا النص أن نتلمس النقاط التالية:

١ ـ إن ما عاناه الإمام الحسن عليه السلام من الأجواء القاسية، والخيانة البالغة، والغدر الفظيع حتى من أقرب الناس إليه ـ عبيد الله بن عباس ـ اضطره إلى عدم الحرب مع عدوه اللدود معاوية، وعقد اتفاقية هدنة.

٢ ـ الظهور الواضح أن ما تم بين الإمام ومعاوية هي«هدنة» لا أكثر، وكان قد طلبها معاوية نفسه، ولم يجبه الإمام إلا في لحظة رأى جيشه معرضاً عن الحرب وخيانتهم له واضحة.

٣ ـ كما توضح أيضا أن رواية الطبري ومَن على شاكلته لم تعبر عن واقع تاريخي سليم، فمن المحتمل أنه دسها لغرض في نفسه، أو عدم إطلاع كافٍ في الموضوع، إذا كان محمل الصحة يمكن أن نجريه عليه.

---

١ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٢ ـ ١٤.

٤ ـ نستفيد من نص الشيخ المفيد ـ الذي تقدم ذكره ـ أن طلبات الإمام لم تخرج عن الأمر الطبيعي، وليست فيها أية إشارة إلى مال أو تنازل يخل في مكانته الشرعية والاجتماعية.

٥ ـ إن الإمام الحسن عليه السلام صرح لبعض أصحابه اجتمعوا حوله في عتاب بالنسبة لموقفه من معاوية بأنه «هادن»، قال المصدر: «وقد صرّح عليه السلام بهذه الجملة، وبكثير من تفصيلها في مواقف كثيرة، وبألفاظ مختلفة، وقال عليه السلام: إنما هادنت حقنا للدماء، وضنّاً بها، وإشفاقاً على نفسي، وأهلي، والمخلصين من أصحابي»[1].

الواقع الذي نراه من خلال نص المفيد هو أن الإمام أكد على أنه هادن معاوية ولم يبايعه، والفرق بين المصطلحين كبير.

---

١ ـ المجلسي ـ بحار الانوار: ٤٤ / ٢٧ عن السيد المرتضى، وروى المجلسي في نفس المصدر (٤٤ / ٥٦) قال: وفي رواية: «إنما هادنت حقنا للدماء وصيانتها، وإشفاقا على نفسي وأهلي، والمخلصين من أصحابي».

الفصل الثاني

الدعم المعنوي لترسيخ فكرة الصلح

ويضم البحوث التالية:

١ ــ دعم انقلاب معاوية بحديث نبوي

٢ ــ مناقشة الحديث

٣ ــ رأينا بالموضوع

(١)

دعم المشروع الأموي بحديث نبوي

رغم النصر الأموي في العملية الانقلابية التي قام بها معاوية على الإمام الحسن عليه السلام في حربه معه بعد عقد معاهدة «الهدنة» بينهما، وإشهاد الله سبحانه على تنفيذ بنودها، ولكن ما أن وصل إلى الكوفة، واستتب له الأمر، حتى أعلن نقضها بوقاحة ـ كما تقدم تفصيلها ـ ومن أجل دعم موقفه الخياني حرّك أجهزته لتثبيت عنوان الصلح والتنازل عن الخلافة له بحديث نبوي، ليؤكد في وجدان الأمة على لياقة معاوية لهذه المهمة الخطيرة.

قال القائلون: إن أبو بكرة قال:

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر، والحسن بن علي على جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: إن أبني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[1].

هذا الحديث ورد بعدة طرق، وغالبها تنتهي إلى راوٍ واحد، وهو أبو بكرة، وقد تناقله بعض المؤرخين والكتاب ممن تناولوا هذه القضية لتبرر عملية إيقاف الحرب من الطرفين بدعوة من رسول

---

١ ـ ابن حنبل ـ المسند: ٥ / ٣٧، والسيد محمد هادي الميلاني ـ قادتنا: ٥ / ٢١٩ .

الله ﷺ، خاصة إذا قرأنا النص التالي الذي رواه كمال الدين الدميري المتوفى عام ٨٠٨ هـ :

«كتب الحسن إلى معاوية بتسليم الأمر، واشترط عليه شروطاً، فأجابه معاوية، وبايع له لخمس بقين من شهر ربيع الأول، وذلك لأنه رأى المصلحة في جمع الكلمة، وترك القتال، وظهرت المعجزة في قوله ﷺ: إن أبني هذا ـ أي: الحسن ـ سيد وسيصلح الله به. وفي رواية أخرى: ولعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين»[1].

ثم يردف الدميري هذا الحديث بخبر الشعبي إذ يقول:

«شهدت خطبة الحسن (رضي الله عنه) حين صالح معاوية وخلع نفسه من الخلافة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد..إن هذا الأمر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه إن كان له فهو أحق مني، وإن كان لي فقد تركته له إرادة لإصلاح الأمة، وحقن دماء المسلمين...»[2].

والملاحظ أن الدميري حبك الموضوع بصورة لا يرقى إليه الشك، بعد أن سدده بحديث نبوي، واعتراف صريح من الإمام الحسن بأن الأمر مجهول عليه لا يعرف معاوية أحق منه بالأمر، أم هو صاحبها؟

والملاحظ على هذه الرواية ما يلي:

الأولى ـ أن غالب من روى هذا الحديث أوصله إلى أبي بكرة وهو الراوي عن النبي ﷺ.

---

١ ـ الدميري ـ حياة الحيوان: ١ / ٥٧ .

٢ ـ الدميري ـ المصدر المتقدم: ١ / ٥٧ ـ ٥٨ .

الثانية ـ الاختلاف الكبير في نص الحديث، وان كان المضمون واحد. كمثل على ذلك:

أ ـ روى أبو بكرة قال: «قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي: إن أبني هذا سيد، وأني أرجو أن يصلح به بين فئتين من أمتي».

ب ـ وجاء في حديث حماد «ولعل الله أن يصلح بين فئتين من المسلمين عظيمتين».

ج ـ ونص آخر مروي عن أبي بكرة قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر، فقال: إن ابني هذا يصلح الله على يديه بين فئتين».

د ـ وفي رواية أخرى عن المبارك بن الحسن عن أبي بكرة قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس، وكان الحسن بن علي يثب على ظهره إذا سجد، ففعل ذلك غير مرة، فقالوا له: والله إنك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد؟ قال المبارك: فذكر شيئاً، ثم قال: إن ابني هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به فئتين من المسلمين، فقال ابن الحسن (ناقل الرواية عن أبي بكرة): فوالله والله بعد أن وليّ لم يهرق في خلافته ملء محجمة من دم».

هـ ـ ونص آخر أيضا عن أبي بكرة ـ أيضاً ـ قال: «إن رسول الله ﷺ كان يصلي فإذا سجد وثب الحسن على ظهره، وعلى عنقه، فيرفعه رسول الله ﷺ رفعاً رقيقاً: ففعل ذلك غير مرة، لئلا يصرع، قال: فلما قضى صلاته، قالوا: يا رسول الله ﷺ رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته؟ قال ﷺ: إنه ريحانتي من الدنيا، وإن ابني هذا سيد، وعسى الله تبارك وتعالى أن يصلح به فئتين من المسلمين».

و ـ ونص آخر عن أبي بكرة يقول: «كان النبي ﷺ يصلي الضحى فجاء الحسن وهو غلام، فلما سجد النبي ركب على ظهره، كأني أنظر إلى رجليه يقلبهما على ظهر رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من السجود أخذه أخذاً رفيقاً حتى وضعه بالأرض، فلما فرغ من صلاته، أقبل عليه بوجهه يقبله، فقال له رجل: أتفعل هذا بهذا الغلام؟ فقال النبي ﷺ: إن أبني هذا ريحانتي من الدنيا، وأنه سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1].

---

١ ـ ذكر كل هذه الروايات التي مرت علينا وغيرها المرحوم السيد محمد هادي الميلاني ـ قادتنا: ٥ / ٢١٢ و٢١٨و٢١٩و٢٢٠ و٢٢١ و٢٢٣ عن مصادر متعددة مثل: البخاري، وابن عساكر، وابن عبد البر وابن كثير ومسند أحمد وغيرهم وللاطلاع يراجع الكتاب المذكور.

(٢)

مناقشة الحديث

وغير هذه الروايات، روايات أخرى بنفس المضمون، وقد تكون عن رواة متعددين. والملاحظات على ذلك بإيجاز هي:

١ ـ يظهر أن الراوي الأصلي هو أبو بكرة، وهو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صحابي من أهل الطائف، ابتعد عن الإمام علي عليه السلام يوم الجمل وصفين، ولم يحارب مع إمام زمانه المفروض طاعته عليه، وتخلفه عن الإمام علي عليه السلام في صفين لا لعذر شرعي، معناه مخالفته للإمام شرعاً، وموقفه السلبي تأييد بلون وآخر لمعاوية، وهو في حالة كونه خارج على الشرعية.

٢ ـ لقد روى أبو بكرة الرواية في عدة صور، ويظهر فيها اختلاف فظيع على سبيل المثال:

أ ـ أن النبي كان يصلي فجاء الحسن فوثب على ظهره....ثم قال النبي....

ب ـ ومرة يقول: رأيت النبي على المنبر وحسن معه، وهو(أي النبي) يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول النبي....

ج ـ ومرة يقول: بينا النبي يخطب جاء الحسن، فقال النبي....

د ـ ويقول في رواية أخرى: كان النبي يحدثنا يوماً والحسن بن

علي في حجره فيقبل على أصحابه فيحدثهم، ثم يقبل على الحسن فيقبله، ثم قال الحديث....

هـ - وفي نص آخر يقول: بينا رسول الله يخطب إذ جاء الحسن فصعد إليه المنبر، فضمه النبي ومسح على رأسه، وقال: الحديث....

إن مقدمة الحديث حين ترد على عدة صور - كما رأينا - مع أن الراوي واحد، وهو أبو بكرة، لا شك تثير الريبة في قبولها، اللهم إلا أن النبي كان يعيد هذا الحديث عدة مرات، والظاهر أنه ذكره مرة واحدة بدليل أن الناقل له أبو بكرة، ولا يحتمل أن النبي ﷺ كان يكرر الخبر أمام أبي بكرة كلما يلتقي به.

ثم لماذا ينقل هذا الحدث ويشاهده فقط أبو بكرة، في حين أنه يظهر من مطاوي الحديث أن المصلين مع النبي ﷺ كانوا جماعة.

٣ - إن مضمون الرواية يكاد يكون واحداً، لكن اختلافا في اللفظ المكوّن للمضمون - كما سنرى - مما يدعو إلى التحفظ، ففي مجموع الروايات في هذا الصدد التي اطلعت عليها نرى أن الفقرة الرئيسة التي هي قطب الموضوع وردت بأربع صور، هي:

«إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به فئتين من المسلمين».

أو «ولعل الله أن يصلح على يديه بين فئتين عظيمتين».

أو «إن أبني هذا سيد ويصلح بين طائفتين من المسلمين».

أو «أن أبني هذا سيد يصلح الله على يديه بين فئتين».

أو «إن أبني هذا سيد وأرجو أن يصلح به بين فئتين من أمتي».

والاختلاف في اللفظ واضح للغاية، علماً أن الراوي يكاد يكون واحداً.

٤ ـ إن أبا بكرة في رواياته المتعددة لهذا الأمر يفهم كونه مع النبي ﷺ مرة: إنه شاهد النبي...، وأخرى: كان يحدثنا... وثالثا: بينا رسول الله على المنبر يخطب جاء الحسن فصعد إليه... ورابعا: سمعت النبي على المنبر والحسن إلى جانبه... خامساً: قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي: إن ابني...

وعلى هذا الاختلاف في مسار النقل ملاحظتان مهمتان:

أ ـ بأي حديث نأخذ ـ وعلى فرض الصحة ـ فهي مرة واحدة قالها رسول الله ﷺ وليس من المعقول كان يكررها، فلو كان كذلك لنقل الحديث عن غيره أيضا، ولماذا ينفرد به في كل مرة.

ب ـ إن كل الروايات التي ورد فيها ذكر الحسن يلاحظ أنه كان وعلى أقرب الاحتمالات بين الثانية والثالثة من عمره بحيث يقفز على ظهر جده، أو يدخل بين رجليه وهو يصلي، كما في رواية الهيثمي[1] بإسناده عن الزبير: إنه قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ ساجداً حتى جاء الحسن بن علي فصعد على ظهره فما أنزله حتى كأن هو الذي نزل، وان كان ليفرج له رجليه فيدخل من ذا الجانب، ويخرج من ذا الجانب الأخر» ولم يذكر بقية الحديث[2].

ج ـ يشير التاريخ إلى أن أبا بكرة حين ذاك كان مشركاً في الطائف، وأنه تدلى من حصن الطائف يوم حاصرها النبي، ولهذا سمي

---

١ ـ الهيثمي، نور الدين، أبو الحسن، علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي االشافعي المتوفى ٨٠٧ هـ.

٢ ـ مجمع الزوائد: ٩ / ١٧٩وذكره السيد الميلاني ـ قادتنا ٥ / ٢٢٥ و٢٢٣ ـ ٢٢٦، وصحيح البخاري ج٩ / ٧١.

بأبي بكرة، والتحق بالإسلام، وذلك في السنة الثامنة للهجرة بعد فتح مكة، وانتهى من معركة حنين، والحسن حينذاك في الخامسة من عمره، وليس من المعقول أن الحسن بهذا العمر كان يشب على ظهر جده في السجود.

د ـ وبعد هذه الملاحظات كلها يتضح لنا الأمر جليا حين نقرأ نص المسعودي الذي يقول فيه:

«لما صالح الحسن معاوية كبّر بالخضراء، وكبّر أهل المسجد لتكبير أهل الخضراء، فخرجت فاختة بنت قرضة (زوجة معاوية) من خوخة لها، وقالت: سرك الله يا أمير المؤمنين ما الذي بلغك؟ فقال معاوية: أتاني البشير بصلح الحسن وانقياده فذكرت قول رسول الله: إن أبني هذا سيد أهل الجنة، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين، فحمدت الله الذي جعل فئتي إحدى الفئتين المؤمنتين»[1].

وهنا لابد لنا من وقفة تأمل، فقد أستبشر معاوية حين وصله الخبر بصلح الحسن معه وهو بخضراء الشام فحمد الله بأن فئته إحدى الفئتين المؤمنتين!! وهذا يتعارض تماماً مع الرواية الواردة عن النبي ﷺ في عمار بن ياسر قال: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»[2]. وهذا الحديث يتعارض وبوضوح مع كلام معاوية، ومما لا شك فيه أن قول الرسول ﷺ في عمار متواتر وصحيح، ورواية معاوية مشكوك فيها.

هـ ـ مقدمة الحديث يرد على عدة صور رغم أنها عن راوٍ واحد، وهو أبو بكرة، أو يرويه عنه البهي مولى الزبير، أو الحسن، ولم يشر

---

١ ـ هاشم معروف ـ أهل البيت ١ / ٥٨٩ .

٢ ـ الفيروز آبادي ـ فضائل الخمسة: ٣ / ٢٣٩عن مصادر متعددة معتبرة .

مَن هو الحسن؟ أو الشعبي في رواية الدميري، ومعروف أن الشعبي عرف بانحرافه عن الإمام علي وأهل بيته.، وكذلك أبو هريرة الذي اعترف هو نفسه أنه كذب على رسول الله[1].

---

١ ـ المبرد ـ الكامل: ٢ / ١٢٤ طبع البابي الحلبي / مصر ١٩٥٦ .

(٣)

رأينا في الموضوع

ومن مجموع هذه الملاحظات المتقدمة نرى من الصعب أن نقبل نسبتها ـ على علاتها ـ إلى النبي ﷺ، وخاصة أنها تتعلق بموضوع يتعلق بإضفاء الشرعية على العملية الانقلابية التي قام بها معاوية على الإمام الحسن الخليفة الشرعي المنتخب، والمنصوص عليه من رسول الله ﷺ، وقد تقدم في ثنايا الحديث أن الكثير من أصحاب الجرح والتعديل لا يثقون بالروايات التي ترد في مدح بني أمية، ويكفي أن السيوطي وضع كتاباً في الأخبار الموضوعة على رسول الله ﷺ.

ولقد أشرنا فيما سبق إلى أن ابن أبي الحديد ذكر وبصراحة أن معاوية سخر جماعة من الصحابة والتابعين لوضع الأحاديث في صالحه وصالح بني أمية، وأشار إلى هذا الحاكم النيسابوري[1] حيث نقل: أنه سمع أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف[2]، يقول: سمعت

---

١ ـ النيسابوري ـ محمد بن محمد بن إسحاق، أو احمد النيسابوري، ويعرف بالحاكم الكبير، محدث خراسان في عصره ولد سنة٢٨٥، وتوفي بنيسابور سنة٣٧٨هـ ـ له مؤلفات عديدة. ترجمه: الزركلي ـ الاعلام: ٧ / ٢٠.

٢ ـ محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان الاموي، يعرف بابي العباس الاصم، ولد عام٢٤٧هـ من أهل نيسابور، توفي عام ٣٤٦. ترجمه الزركلي ـ الاعلام: ٧ / ١٤٥ .

أبي يقول: لا يصح في فضل معاوية حديث»[1].

وابن حجر يسخط على إسحاق بن محمد بن إسحاق السوسي، ويصفه: «بذاك الجاهل الذي أتى بالموضوعات السمجة في فضائل معاوية»[2].

وتحاول الأجهزة الأموية في عهد معاوية ومن بعده التأثير على الرأي العام الإسلامي في إضفاء الشرعية على خلافة معاوية، وخاصة بعد ظرف الانقلاب الذي قام به معاوية في الكوفة بعد عقد معاهدة «الهدنة» وإعلانه بعد وصوله إليها، وتصريحه بأن ما تم بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام من الاتفاقات هي تحت قدمه، ومعناه مخالفته وبصورة صريحة للقيم الدينية، والأخلاق العرفية التي تحكم المجتمع الإسلامي، وكما أشرنا في بداية هذا البحث بأن أجهزة معاوية من أجل دعم موقف سيدهم دعمته بحديث نبوي ليؤدي إلى إضفاء قبول الجماهير بالأمر الواقع، علماً أن أفعال معاوية من قتل صحابة النبي صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام، وخروجه على الشرعية في حربه الظالمة على الإمام علي، ومؤامرته عليه مع الخوارج واغتياله، ثم التفافه على الإمام الحسن وما انتهى إليه، كلها تؤكد أن مروقه عن الدين مبدأ أساسي لديه، وابتزاز واضح من أجل الوصول إلى هدفه الدنيوي، فما كان يتورع عن أي وسيلة تحقق له غايته.

---

١ ـ ابن حجر العسقلاني ـ فتح الباري في شرح البخاري: ٧ / ٧٣طبعة بولاق مصر، ولزيادة الاطلاع راجع الاميني ـ الغدير: ١١ / ٧١.

٢ ـ ابن حجر ـ لسان الميزان: ١ / ٣٧٤ طبعة حيدر آباد.

ونعيد إلى الأذهان موقفه الصارخ ضد الشرعية حين اتفق مع سمرة بن جندب على أن يخطب في أهل الشام بأن قوله تعالى: ﴿ومن الناس مَن يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد﴾[1]. نزلت في علي بن أبي طالب، وأن قوله تعالى: ﴿ومن الناس مَن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[2] نزلت في ابن ملجم[3] قاتل علي عليه السلام.

هذا نموذج بسيط من أساليب معاوية في تغير مفاهيم السذج من الناس ومسخ أفكارهم، وغسل أدمغتهم تنفيذاً لمبدأ «الغاية تبرر الواسطة»، ولم تتوان أجهزة الأمويين من وضع الأخبار في افتعال فضائل لمعاوية، ودس الأحاديث في الدس على الإمام علي والحسن، ومحاولة إضعاف شخصيتهما أمام الرأي العام، معتقداً أن ذلك له تأثير هام على عقول الناس، ولكن كل تلكم المحاولات لم تحقق إليه مغنما عند العامة من الناس، والقول المشهور: «الصلاة خلف علي عبادة، واللقمة عند معاوية أدسم».

---

١ ـ سورة البقرة ـ آية: ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٢ ـ سورة البقرة ـ آية ٢٠٧.

٣ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر السابق: ١٠ / ١٣٦ .

الفصل الثالث

الدعم المادي والنفسي لموقف معاوية

ويضم البحوث التالية:

١ ــ تشويه أخلاقي واجتماعي

٢ ــ العباسيون أكثر تهجما في قضايا زواج الحسن

٣ ــ ماذا بعد هذا

(١)

تشويه أخلاقي واجتماعي

لقد تظافر الأمويون، ومن بعدهم العباسيون على تشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام للرأي العام، ولكل من العهدين الظالمين مبتغاه الخبيث، ومن أجل هذا ذهبت الروايات من هنا وهناك تكيل ما تشاء، وحسب أهوائها ما تعتقد أنها تشوه صورة الحسن عليه السلام.

١ ـ الخبر المخالف لإرشاد رسول الله صلى الله عليه وآله:

وعلى سبيل المثال يطالعنا محمد بن سيرين المتوفى عام ١١٠هـ[١] بخبر لا أشك أنه من الموضوعات، حيث يقول: «إن الحسن بن علي عليه السلام تزوج بامرأة فبعث لها صداقاً مائة جارية، مع كل جارية ألف درهم»[٢].

ولنا مع هذا الخبر وقفة قصيرة:

١ ـ هذه قضية غير مهمة في أعراف المجتمع العربي حينذاك، لأن الكرم من خصائص المجتمع العربي، والإمام الحسن معروف بالكرم،

---

١ ـ محمد بن سيرين البصري، أبو بكر، ولد بالبصرة ٣٣ هـ ونشأ بزازاً وتفقه، عرف برواية الأحاديث، وتعبير الرؤيا، كان أبوه مولى لإنس بن مالك توفي بالبصرة عام ١١٠هـ. ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٩ / ٢١٩ والزركلي ـ الأعلام: ٦ / ١٥٤.

٢ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٥٩ عن ابن كثير ـ البداية والنهاية ٨ / ٣٨.

وقد تعرضت مصادر عديدة لهذه الخصيصة التي عرف بها أهل بيت النبوة (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وكمثل على كرمهم تذكر المصادر: أن الإمام الحسن مرّ يوماً على غلام أسود كان بيده رغيف يقضم منه لقمة ويطعم كلباً على مقربة منه لقمة، فتعجب الإمام منه وقال له عليه السلام: «ما حملك على هذا؟» قال الغلام: «استحيت منه أن أكل ولا أطعمه»، فقال له الحسن: «لا تبرح مكانك حتى آتيك». فذهب إلى سيده، فاشتراه، واشترى الحائط (البستان) الذي فيه، فاعتقه، وملّكه الحائط[1]. وهكذا كان كرم أهل البيت فلا يُستكثر عليهم لو أعطوا لامرأة صداقاً عالياً، كما يقول الخبر.

٢ ـ غير أننا من جانب آخر نرى هذا الصداق لا يمكن قبوله من الإمام الحسن لتعارضه مع السنة المباركة، التي روي عن النبي أنه قال: «أفضل نساء أمتي أقلهن مهراً». كما عرف أن مهر فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأم الحسن والحسين كان أربعمائة درهم، فرضه الرسول صلى الله عليه وآله ليكون سنة حسنة بين المسلمين، وتشجيعاً لعملية التزاوج في المجتمع الإسلامي. والإمام الحسن هو نتاج تربية بيت النبي، وعاش في ظل علي وفاطمة، وليس من المعقول أن يخرج على رسم جده الرسول صلى الله عليه وآله في متعارف المهر، ليضرب الرقم القياسي في البذخ والإسراف؟!

٣ ـ إن ابن سيرين كان أبوه مولى لأنس بن مالك، وأمه سبية[2]،

---

١ ـ آل ياسين ـ المصدر السابق: ٣٠.

٢ ـ ابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٩ / ٢١٤، ومحمد بن حبيب ـ المحبر: ٣٧٩و٤٨٠، وابن خلكان ـ وفيات الاعيان: ١ / ٤٥٣، والزركلي ـ الاعلام: ٧ / ٢٥.

وأنس كان يقوم بخدمة رسول الله ﷺ ـ كما هو المشهور ـ ولا يميل لعلي عليه السلام، وموقفه معروف منه خاصة حين قال النبي ﷺ له يوماً:

«يا أنس أسكب لي وضوءاً.... ثم قام فصلى ركعتين، وبعدها قال:

«يا أنس أول مَن يدخل عليك من هذا الباب، أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين»..

قال أنس، قلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار، وكتمته إذ جاء علي، فقال النبي ﷺ: «مَن هذا يا أنس»؟ فقلت: علياً، فقام مستبشراً فاعتنقه، ثم جعل يمسح عرق علي بوجهه، فقال علي: «يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي من قبل؟ قال رسول الله: «وما يمنعني وأنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي»[1].

وحين يكون أنس بهذه الحالة فغير بعيد أن تنتقل هذه الخصيصة إلى مولاه سيرين، ثم إلى ولده محمد. وهذا ما يدفعنا إلى الشك في قبول هذا الخبر.

٢ ـ التشويه العاري عن الأخلاق:

ومن الطبيعي أن نرفض كل أمر يخرج عن الحد المألوف بالنسبة للائمة المعصومين عليهم السلام، الذين هم مثال الكمال والقدوة في السيرة الحسنة ـ كما نعتقد بذلك ـ ولاشك أن هذه الكثرة من الزوجات تعد ظاهرة غير طبيعية لكل إنسان فضلاً عن كونه إمام وصفه رسول الله بكل معاني التكريم والاعتزاز. فقد وصفت بعض المصادر: أن الحسن

---

١ ـ بحر العلوم ـ الإمام علي: ٧٥.

مزواج ومطلاق، وأن أباه الإمام علي عليه السلام غضب من ذلك فدعا الناس أن لا تزوجه بناتها!!

ولو لاحظنا تاريخ معاوية ومواقفه المسيئة للإمام علي وولديه الحسن والحسين، ورغم ذلك لم نره يصف أبا محمد الحسن الزكي يوما ما بهذا الوصف الذي لا يتناسب ومكانة حفيد النبي، حيث أوصله بعض المتحدثين إلى ثلاثمائة زوجه، وأقلهم سبعين!!

ويجدر بنا ونحن في صدد درس هذه الظاهرة الخطيرة في حياة الإمام أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام أن نقف موقف القبول أو الرفض بعد دراسة موضوعية لها، وعلى أن نكون على الحياد في بحثنا كي نصل إلى الحقيقة.

في هذا الصدد بين أيدينا ثلاث روايات نذكرها حسب التسلسل العددي للزوجات:

الأولى ـ رواية المدائني[1]:

نقل ابن أبي الحديد: أن المدائني المتوفى عام ٢٢٥هـ قال:

«إن الإمام الحسن عليه السلام تزوج سبعين امرأة.»[2].

الثانية ـ الشبلنجي[3]:

قال مؤمن بن محمد الشبلنجي الشافعي:

---

١ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله البصري المدائني من أهل البصرة، سكن المدائن ثم انتقل إلى بغداد ن وبقي فيها إلى أن توفي عام ٢٢٥هـ. راجع الزر كلي ـ الأعلام: ٥ / ١٤٠ والقمي ـ الكنى والألقاب: ٢ / ١٤٩.

٢ ـ ابن أبي الحديد ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٨.

٣ ـ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي الشافعي، نسبة إلى قرية شبلنجة من قرى مصر توفي بعد عام ١٣٠٨ وهو من الازهرين، وكان يميل إلى العزلة.راجع الزر كلي / الأعلام: ٧ / ٣٣٤ الطبعة الثانية.

«إن الحسن عليه السلام تزوج بتسعين امرأة» روى ذلك مرسلاً[1].

الثالثة ـ أبو طالب المكي[2]:

قال أبو طالب محمد بن علي المكي:

«تزوج الحسن بن علي مائتين وخمسين، وقيل: ثلاثمائة، وكان علي يضجر من ذلك، ويكره، حياءً من أهلهن إذا طلقهن، وكان يقول: إن حسناً مطلق فلا تنكحوه»[3].

اعتقد أن هذه الروايات الثلاث هي المصدر الرئيسي في نسبة تعدد الزوجات للإمام الحسن بن علي عليه السلام سواء في المصادر القديمة أو الحديثة، والغريب أن هذه الظاهرة مرت على كثير من الكتاب والمؤلفين عن الإمام الحسن ولم يدرسوا هذه الروايات الثلاث دراسة موضوعية، حتى أن البعض من أعلام الشيعة أخذوا في الدفاع عن هذه الظاهرة الخطيرة التي يرمى بها إمام معصوم فكانت محاولاتهم ـ في رأينا ـ تافهة لا معنى لها، ولعلها أسأت أكثر مما نفعت[4].

ويجدر بنا ونحن في صدد دراسة هذه الروايات أن نتابع جذور دوافعها، ومعرفة تامة بشخصيات الناقلين لها أولا، ثم نتابع كشف ثغرات الضعف الموجودة فيها.

---

١ ـ هاشم معروف ـ سيرة الأئمة الاثني عشر: ١ / ٦٢٠ .

٢ ـ محمد بن علي بن عطية الحارثي العجمي المكي، نشأ واشتهر بمكة، ثم سكن بغداد وتوفي فيها عام ٣٨٣ أو ٣٨٦هـ راجع ابن خلكان ـ وفيات الأعيان: ١ / ٢٩١، وابن حجر ـ لسان الميزان: ٣ / ١٠٧، والزركلي ـ الاعلام: ٧ / ١٥٩ ـ ١٦٠، والقمي ـ الكنى والألقاب: ١ / ١٠٨.

٣ ـ المجلسي ـ بحار الأنوار: ١٠ / ١٣٧ ، وابن شهراشوب ـ المناقب: ٢ / ٢٤٦ عن كتاب أبي طالب المكي محمد بن علي ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب: ٢ / ٢٤٦ (في التصوف).

٤ ـ آل ياسين ـ صلح الحسن: ٢٦.

أولا ـ المدائني

١ ـ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله البصري، المدائني المتوفى عام ٢٢٥هـ تصفه مصادر الجرح والتعديل: بأنه ممن لا يعول عليه على ما يرويه، منها:

أ ـ قال عنه ابن عدي[١]: «ليس بالقوي الحديث، وهو صاحب الأخبار قل ما له من الروايات المسندة»[٢].

ب ـ وقال عنه الذهبي[٣]: «إن مسلماً في صحيحه قد أمتنع عن الرواية عنه»[٤].

ج ـ وقال له الأصمعي[٥] مرة: «والله لتتركن الإسلام وراء ظهرك»[٦].

---

١ ـ ابن عدي ـ عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني، أبو احمد المولود عام ٢٧٧ هـ والمتوفى عام٣٦٥هـ ، كان يعرف ببلده بابن القطان، واشتهر بين علماء الحديث بابن عدي، له عدة مؤلفات عديدة في الرجال مخطوطة. وصفته بعض المصادر «علامة بالحديث ورجاله، أخذ عن أكثر من ألف شيخ».ترجمه الزر كلي ـ الأعلام: ٤ / ١٠٣ .

٢ ـ ابن حجر ـ لسان الميزان: ٤ / ٢٥٢.

٣ ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ مؤرخ محقق تركماني الأصل، ولد عام ٦٧٣ هـ بدمشق وتوفي فيها عام٧٤٨ من أهل ميافارقين، طاف في كثير من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١هـ ، له مؤلفات عديدة تقارب المائة أكثرها مطبوعة، ترجمه: الزركلي ـ الاعلام: ٥ / ٣٢٦ .

٤ ـ الذهبي ـ ميزان الاعتدال: ٣ / ١٣٩ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٥ ـ الأصمعي، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، يعرف براوية العرب مولده عام١٢٢هـ بالبصرة ووفاته فيها عام ٢١٦ هـ تصانيفه كثيرة بعضها مطبوع عالم في الادب واللغة والشعر. ترجمه ابن خلكان ـ وفيات الاعيان:١/ ٢٨٨ ، والزركلي ـ الاعلام:٤/ ١٦٢.

٦ ـ الذهبي ـ المصدر السابق: ٣ / ١٣٩ .

٢ ـ إن المدائني معروف بأنه من خاصة أبي إسحاق الموصلي المغني[١] تبعه لثرائه، وقد روى أحمد بن أبي خيثمة قائلاً: كان أبي، ويحيى ابن معين، ومصعب الزبيري يجلسون على باب مصعب فمر رجل على حمار فاره، وبزة حسنة فسلم، وخص بسلامه يحيى، فقال له: يا أبا الحسن: إلى أين؟ قال: إلى دار هذا الكريم الذي يملأ كميّ دنانير ودراهم أبي إسحاق الموصلي»[٢].

٣ ـ إن المدائني كان معروفاً بولائه لعثمان بن عفان، ويضع الأخبار لبني أمية[٣]. ويـروي عن عوانة بن الحكم المتوفى عام ١٥٨هـ[٤]. وهذا له كتاب في سيرة معاوية[٥]. كما ذكر ياقوت الحموي عن عوانة: أنه أتهم بالأخبار لبني أمية، وأن عامة أخبار المدائني عنه (أي: عن عوانة)[٦].

٤ ـ روت بعض المصادر: أن المدائني كان مولى لسمرة بن حبيب الأموي، أو لعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب الأموي[٧]. والموالي

---

١ ـ أبو إسحاق الموصلي، إبراهيم بن ماهان بن بهمن الموصلي أبو إسحاق النديم شاعر ومغني فارسي الأصل انتقل والده إلى الكوفة فولد بها عام ١٢٥، كانت له عند الخلفاء العباسيين منزلة لانه مغنيهم، مات ببغداد عام١٨٨. ترجمه الزركلي ـ الاعلام: ١ / ٥٨ .

٢ ـ ا بن حجر ـ المصدر السابق: ٤ / ٢٥٣ وياقوت الحموي ـ معجم الادباء: ١٢ / ١٢٦ .

٣ ـ ابن حجر ـ المصدر المتقدم: ٤ / ٣٨٦ .

٤ ـ عوانة بن الحكم بن غياض من بني كلب من أهل الكوفة كان عارفا بالأنساب والشعر وكان ضريرا عرف بوضع الأخبار لبني أمية مات عام ١٤٧، له كتاب سيرة معاوية، وذكر ياقوت: أن أخبار المدائني عنه. ترجمه الزركلي ـ الاعلام: ٥ / ٩٣ .

٥ ـ ابن النديم ـ الفهرست: ٩١ والزركلي ـ الاعلام: ٥ / ٢٧٢ .

٦ ـ ياقوت الحموي ـ معجم الادباء: ٦ / ٩٣ .

٧ ـ ياقوت الحموي ـ معجم الادباء: ١٤ / ١٢٤ وابن حجر ـ لسان الميزان: ٤ / ٢٢٣ .

على الأكثر تنطبع في نفوسهم ميول مواليهم، وسائر نزعاتهم، وقد تأثر المدائني بنفسية سمرة ذي النزعة الأموية المنحرفين عن أهل البيت[1].

٥ ـ إن المدائني حين ادعى أن الحسن تزوج بسبعين امرأة حاول أن يحصى أسمائهن فلم يتمكن إلا من ذكر عشر نساء[2]، وأحجم المؤرخون عن طرق هذا الموضوع، واكتفوا بالادعاء عارياً عن السند، وكأن الإمام الحسن تزوج هذه النسوة من محيط غير معروف.

ثانيا ـ أبو طالب المكي

هو محمد بن علي بن عطية الحارثي العجمي المكي، نشأ وأشتهر بمكة، ثم انتقل إلى بغداد وسكن فيها إلى أن توفي بين عام٣٨٣ أو ٣٨٦هـ.

هذا الرجل تردد في عدد زوجات الحسن بين ٢٥٠أو ٣٠٠حتى ضجر منه والده الإمام علي، واستحى من الناس، واخذ يعلن إلى الملأ أن لا ينكحوا الحسن امرأة.

وحين تتبعنا حياة هذا الرجل وجدناها كالآتي:

١ ـ إنه كان يستعمل الرياضة كثيراً، حتى قيل: إنه هجر الطعام كثيراً، واقتصر على أكل الحشائش، فكان طعامه ـ كما جاء في كتابه «قوت القلوب» ـ عروق البردي، قيل: فاخضر جلده من كثرة تناولها[3].

٢ ـ اتهم بالاعتزال، وسكن بغداد فأخذ يعظ الناس فصار يخلط

---

١ ـ القرشي ـ المصدر المتقدم: ٢ / ٤٥٥.

٢ ـ هاشم معروف ـ المصدر السابق: ١ / ٦٢١.

٣ ـ القمي ـ المصدر السابق: ١ / ١٠٨.

بكلامه، حفظوا عنه أقوالا فهجروه من أجلها، وامتنع عن الكلام بعد ذلك[1]. ومن خلطه وهذيانه ـ والعياذ بالله ـ قوله: «ليس على المخلوقين أضر من الخالق»[2].

٣ ـ وقالوا عنه: إنه كان يبيح سماع الغناء، فأرسل عليه عبد الصمد بن علي العباسي ـ عم المنصور ـ[3] ودخل عليه فعاتبه عبد الصمد على إباحته للغناء، فرد عليه أبو طالب:

فياليل كم فيك من متعة ويا صبح ليتك لم تقرب[4]

٤ ـ ومن شذوذه أنه لما حضرته الوفاة، دخل عليه بعض أصدقائه، فقال له أبو طالب: إن ختم ليّ بخير فانثر على جنازتي لوزاً وسكراً، فقال له صديقه: وما علامة الغفران لك؟ قال: إن قبضت على يدك، فلما حان موته قبض أبو طالب على يد صاحبه قبضاً شديداً، فامتثل صاحبه ونثر على جنازته لوزاً وسكراً[5].

٥ ـ وذكر أن في كتابه «قوت القلوب» ـ وهو كتاب في التصوف ـ أشياء منكرة مستشنعة في الصفات[6].

---

١ ـ القمي ـ المصدر المتقدم: ١ / ٦٠، والزركلي ـ الاعلام: ٧ / ١٥٩ ـ ١٦٠ .

٢ ـ ابن حجر ـ المصدر السابق: ٥ / ٣٠٠، والقمي ـ المصدر المتقدم: ١ / ١٠٦ .

٣ ـ عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد عام ١٠٤هـ كان والياً للمنصور على مكة والطائف والمدينة، ثم والياً للمهدي على الجزيرة ودمشق، عمي في آخر عمره، وهو ابن «كثيرة» التي كان ابن قيس الرقيات يشبب بها في شعره، توفي عام ١٨٥، ترجمه ابن خلكان ـ وفيات الأعيان: ١ / ٢٩٦، والبغدادي ـ تاريخ بغداد: ١١ / ٣٧ .

٤ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٥٦ عن مصادر متعددة.

٥ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية: ١١ / ٣١٩ وابن الجوزي ـ المنتظم: ٧ / ١٩٠ والقرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٥٦ .

٦ ـ الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد: ٣ / ٨٩، والزركلي ـ الاعلام: ٧ / ٣٣٢ .

حين يكون هذا الرجل بهذه الصفات المخلة، هل من الممكن الاعتماد عليه في قبول رواية خطيرة تمس شخصية قال عنها النبي: «الحسن سيد شباب أهل الجنة»؟

ثالثا ـ الشبلنجي:

هو مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي الشافعي، نسبة إلى قرية شبلنجة من قرى مصر، وهو من الأزهريين، وكان يميل إلى العزلة.

هذا الشخص رغم تأليفه كتاباً في ذكر آل البيت سماه «نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار»، إلا انه في كتابه المذكور لم يتحر الصحيح في مروياته وأخباره كما يبدو ذلك للمتتبع فيه[1].

إن الشبلنجي روى: أن الحسن تزوج بتسعين امرأة[2]، ولم يدعم قوله بمصدر يثبت ما يدعيه، وإنما روى ذلك مرسلا، والمراسيل من الأخبار لا يعتمد عليها، ولا يصح التعامل معها.

إن هذه الروايات الثلاث التي تطرقنا إليها تكاد تكون هي المصدر الرئيسي لهذا الادعاء بأن الإمام الحسن عليه السلام تزوج بهذا الكم من النساء سواء كان سبعينا أو تسعيناً، أو مائتين وخمسين أو ثلاثمائة. وحين نناقش هذه الروايات من أجل تثبيتها نراها مرفوضة قبل المناقشة للأسباب التالية:

١ ـ ان الراويات الثلاث معلولة بصفة لا يمكن الاعتماد عليها، لأنها عارية من الإسناد، وإنما هي مرسلة، والأخبار المرسلة لا يعتمد عليها.

٢ ـ ان الرواة أحجموا عن ذكر أسماء حتى بعض الزوجات

---

١ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٥٥ .

٢ ـ الزركلي ـ الأعلام: ٥ / ١٤٠، القمي ـ الكنى والالقاب: ٢ / ١٤٩ .

المدعاة، ومن غير المعقول أن الإمام الحسن، وهو ابن بنت النبي، وابن علي بن أبي طالب يتزوج من أي امرأة كانت، وعلى فرض أنه قدم على ذلك فالوضع الأسري الذي كان يحكم المجتمع الإسلامي حينذاك ـ وخاصة بيت رسول الله ـ الذي كان له شأن خاص يفرض عليه أحكام التزامية لا تساعد على مثل هذه الفوضى لأي أمر يتحكم في العرف العام الاجتماعي.

٣ ـ إذا كان أمر الزواج صحيحاً فلابد للحسن أولاد ـ ذكوراً أو إناثاً يذكرهم المؤرخون، ولم نجد مصدراً يتحدث عن أولاده إلا في حد لا يزيدون على الأصابع.

٤ ـ إن رواتها الثلاث كلهم ـ كما تقدم ـ معللون بوضع يخل بقبول رواياتهم. فالمدائني ضعفه علماء التراجم، وليس بالقوي الحديث، ويضع الأخبار لصالح بني أمية.

وأبو طالب المكي يكاد يكون ـ كما تصفه المصادر ـ مختل العقل، وخالطه هذيان، وفي قوله كل الدلالة على جنونه أو كفره.

والشبلنجي يميل إلى العزلة، ولعل البساطة تعلوه، وتدفعه إلى عدم التتبع.

(٢)

العباسيون وهذه الدعوى

ونعثر على خبر هام في هذا الصدد، وهو موضوع إشاعة كثرة زواج الإمام الحسن عليه السلام ـ وبواسطته قد يوجه الموضوع توجيهاً جديداً ـ فالمسعودي المؤرخ الشهير ينقل خبرا حيث يقول:

«إن أبا جعفر المنصور العباسي[١] عندما ألقى القبض على عبد الله بن الحسن[٢]، وخطب على الخراسانيين في الهاشمية[٣] خطاباً شحنه

---

١ ـ أبو جعفر المنصور العباسي، عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، ثاني خلفاء بني العباس ولد في الحميمة من أرض الشراة ـ قرب معان عام ٩٥هـ وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ، وهو باني مدينة بغداد عام ١٤٥هـ وجعلها دار ملكه بدلامن الهاشمية التي بناها السفاح وصفته المصادر: بأنه «كان شجاعاً كثير الجد جبروتاً إلا انه قتل خلقاً كثيرا» وتوفي بمكة عام ١٥٨ودفن بالحجون، قتل أبا مسلم الخراساني الداعي الأكبر للعباسيين لأنه شك في إخلاصه له، كما سجن أبا حنيفة وضربه فمات بعد خروجه من السجن، أمه بربرية، ويلقب بالدوانيقي لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات. ترجمه السيوطي ـ تاريخ الخلفاء: ٢٥٩ ط / القاهرة / مطبعة المدني ١٩٦٤ / الطبعة الثالثة. والمسعودي ـ المصدر السابق: ٣ / ٢٨١ ـ٣٠٨طبع بيروت دار الاندلس. و الزركلي ـ الاعلام: ٤ / ١١٧.

٢ ـ عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، ولد بالمدينة عام ٧٠هـ كان ذا هيبة ولسان وشرف، حبسه المنصور عدة سنوات من أجل أبنيه محمد وابراهيم في الكوفة، ومات في السجن سنة١٤٥هـ. ترجمه أبو الفرج ـ المصدر السابق: ١٦٦ ـ١٧١، وابن حجر ـ الإصابة: ترجمة ٦٥٨٧، والخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد: ٩ / ٤٣١، و الزركلي ـ الاعلام: ٤/ ٧٨.

٣ ـ الهاشمية، مدينة بناها السفاح العباسي بالكوفة لما ولي الخلافة نزل بقصر ابن هبيرة، واستتم بناءه

بالسب والشتم على أمير المؤمنين وأولاده، جاء فيه:

«إن ولد آل أبي طالب تركناهم ـ والذي لا إله إلا هو ـ والخلافة، فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير، فقام فيها علي بن أبي طالب فما أفلح، وحكم الحكمين فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه.

ثم قام بعده الحسن بن علي فوالله ما كان برجل عرضت عليه الأموال فقبلها ودس إليه معاوية أني أجعلك ولي عهدي فخلعه، وانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة، ويطلق غداً أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه...»[1].

ولم يكن هذا فحسب من المنصور الدوانيقي نحو الإمام الحسن إنما كان يتحين الفرص للدس والافتراء على سبط الرسول ﷺ، فقد ذكرت المصادر: إنه كتب إلى محمد ذي النفس الزكية [2] جاء فيه:

وجعله مدينة وسماها الهاشمية، وكان الناس ينسبونها إلى ابن هبيرة، فرفضها وبنى حيالها مدينة سماها الهاشمية.راجع ياقوت ـ معجم البلدان: ٥ / ٣٨٩.

١ ـ المسعودي ـ مروج الذهب: ٣ / ٣٠٠.

٢ ـ محمد ذي النفس الزكية، هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله، الملقب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزكية، أحد الأمراء الأشراف من الطالبيين، ولد بالمدينة عام ٩٣هـ، وكذلك نشأ بها، وكان يقال له صريح قريش، لأن أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد، وكان غزير العلم، وشجاعاً وحازماً وسخياً، بايعه كثير من الناس بالخلافة، وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه، ولما برزت الدعوة العباسية جهز لقتاله المنصور الدوانيقي، وقبض عليه بالمدينة وقتله الوالي العباسي سنة١٤٥هـ وحز رأسه وبعثه إلى المنصور العباسي. وذكر بعض المؤرخين: أن الإمامين مالكاً وأبا حنيفة كانا يريان إمامة محمد ذي النفس الزكية أصح من إمامة المنصور، ولما عرف المنصور ذلك أمر بضرب مالكا على الفتيا في طلاق المكره، وحبس أبا حنيفة على القضاء. ترجمه المسعودي ـ المصدر السابق: ٣ / ٢٩٢٣٠٧، وأبو الفرج ـ المصدر

«وأفضى أمر جدك ـ يعني علي بن أبي طالب ـ إلى الحسن فباعها إلى معاوية بخرق ودراهم، ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية، ودفع الأمر إلى غير أهله وأخذ مالاً من غير ولائه ولا حله ـ فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه، وأخذتم ثمنه»[1].

والظاهر أن المنصور العباسي الذي ولغ في دماء الحسنيين حين حاربوه بثورات متصلة كادت تطيح بسلطانه وسلطان العباسيين، وحين بلغ الصراع بينهما فاق العباسيون الأمويين بالظلم والفتك والاضطهاد بآل الرسول ﷺ وخاصة آل الحسن عليهم السلام حتى قال الشاعر ـ مشيراً إلى الصراع المرير بين أولاد الأعمام ـ :

تالله مـــا فعلـت أمـيـة فيهـم معشار ما فعلت بنو العباس

وادعى العباسيون بأنهم أولى وأحق من آل أبي طالب بميراث النبي، حيث هم أولاد العباس بن عبد المطلب عم النبي، وعلي بن أبي طالب ابن عم النبي، والعم أحق بالميراث من ابن العم، وقد بذلوا جهداً كبيراً ومالاً وافراً في سبيل تركيز هذه المقولة في نفوس الجماهير البسطاء.

وحين نرجع إلى التاريخ نرى أن العباسيين تظاهروا في بداية أمرهم بأنهم ثاروا من أجل أخذ الثأر للإمام الحسين عليه السلام، وتؤكد الرواية هذا التوجه حيث تقول:

«ولما أتى أبو العباس السفاح برأس مروان، سجد فأطال ثم رفع رأسه، وقال: الحمد لله الذي لم يبق ثأرنا قِبلك وقِبل رهطك، والحمد لله

السابق: ٢٠٦ ـ٢١٧، والزركلي ـ الاعلام: ٦ / ٢٢٠ .

١ ـ القلقشندي ـ صبح الاعشى: ١ / ٢٣٣ .

الذي أظفرني بك، وأظهرني عليك، ثم قال: ما أبالي متى طرقني الموت، وقد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين[1]، أحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي إبراهيم، وتمثل:

لو يشربون دمي لم يُروِ شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم حول وجهه إلى القبلة فأطال السجود، ثم جلس وأسفر، وتمثل بقول العباس بن عبد المطلب جده من أبيات له:

أبى قومنا أن ينصفونا، فأنصفت قواطع في أيماننا تقتطر الدما

تورثن من أشياخ صدق تقربوا بهنّ إلى يوم الوغى فتقدما

إذا خالطت هام الرجال تركنها كبيض نعام في الوغى متحطما[2]

وهذا النص صريح في أن العباسيين استغلوا عنوان الثأر للإمام الحسين وأهل البيت، حتى إذا ثبتت الأمور لهم واستقر سلطانهم انقضوا على أتباع وشيعة الحسين قتلا وتدميرا وتشريدا.

يؤكد هذه الحقيقة ما جاء في بعض المصادر أن العلويين أدركوا «أن العباسيين قد خدعوهم، واستأثروا بالخلافة، لأنهم باتحادهم مع بني العباس ضد بني أمية واشتراكهم معهم في العمل على إزالة دولتهم قد مهدوا الطريق للعباسيين. ولم تكن استكانة العلويين في بدء الخلافة العباسية معناها التسليم بالأمر الواقع، لأنهم انتظروا حتى تتهيأ لهم الأحوال، فبدأوا دور الكفاح والنضال ضد العباسيين كما

---

١ ـ في شرح النهج ـ ابن أبي الحديد: ٧ / ١٣١النص التالي «وقد قتلت بالحسين × ألفاً من بني أمية، واحرقت شلو هشام بابن أخي زيد بن علي كما أحرقوا شلوه...ثم قال: أما مروان فقتلناه بأخي إبراهيم، وقتلنا سائر بني أمية بحسين، ومن قتل معه وبعده من بني عمنا أبي طالب».

٢ ـ المسعودي ـ المصدر السابق: ٣ / ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

كافحوا الأمويين من قبل، ابتغاء الوصول إلى حقهم في الخلافة»[1].

ويقول مصدر آخر: إن العباسيين«استطاعوا بدهائهم أن يغروا العلويين بالقول أن دعوتهم إنما ترمي إلى الدفاع عن حقوق بني هاشم المغصوبة»[2]

وإذا راجعنا التاريخ العباسي نرى الحملات المتنوعة ضد الإمام علي وأولاده، وإنهم أحق بالخلافة منهم، وبذلوا المبالغ الطائلة للشعراء الذين تناولوا موضوع أحقيتهم بالخلافة من علي وآله.

وفي ضوء ما تقدم فلا يستبعد أن يكون موضوع إثارة الإشاعات حول تعدد زوجات الحسن يعود للمنصور العباسي، ولعله هو أول من طرح هذا القول، وأخذت أجهزتهم في ترسيخه في أذهان الناس، وتناول المؤلفون على امتداد التاريخ بالطعن بلياقة الإمام لمنصب الإمامة دون تحقيق وتدقيق نظراً للموقف العنيف الذي التزمه العباسيون ضد آل أبي طالب.

---

١ ـ على إبراهيم حسن ـ التاريخ الإسلامي العام: ٣٥١ طبع القاهرة مطبعة النهضة المصرية .

٢ ـ د. فيليب حتي ورفيقيه ـ تاريخ العرب: ٣٤٨ طبع بيروت دار غندور للطباعة والنشر ١٩٩٠ الطبعة الثامنة .

(٣)

ماذا بعد هذا؟

قال أبو هريرة ـ بعد الهدنة ـ :

«الخلافة في المدينة، والملك في الشام»[١].

وذُكر أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية بالشام، بعد أن استقرت الأمور لزعيم الأمويين ـ فقال له:

«السلام عليك أيها الملك. فضحك له معاوية، وقال: ما كان عليك يا أبا إسحاق لو قلت: يا أمير المؤمنين؟ قال: أتقولها جذلانا ضاحكاً، والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به»[٢].

وروي أن سعد بن مالك دخل على معاوية، فقال له:

«السلام عليك أيها الملك. فغضب معاوية، فقال له: ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ فرد سعد قائلا: ذاك إن كنا أمرناك، وإنما أنت منتزٍ»[٣].

كل هذا، وأكثر من هذا من الأقوال ظهرت على لسان كثير من الشخصيات المعاصرة وغير المعاصرة، إذ لا ترى في معاوية مجالا لقبوله خليفة على المسلمين، اللهم إلا أهل الشام ومن والى الأمويين،

---

١ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية: ٦ / ٣٢١ .

٢ ـ ابن الأثير ـ المصدر السابق: ٣ / ٢٠٥ .

٣ ـ اليعقوبي ـ التاريخ: ٢ / ٢١٧ (نزا، ينزو، نزوا: وثب) .

وحتى المؤرخ الأموي (ابن كثير)[1] يرى ـ بكل صراحة ـ أن عهد الخلافة انقضى بخلافة الحسن بن علي، وأن «أيام معاوية أول الملك»[2]. وهذا الواقع الذي لا مراء فيه، فمهما يحاول معاوية ومرتزقته إضفاء ثوب الخلافة عليه من أجل كسب الشرعية الجماهيرية بعمليته الانقلابية على الإمام الحسن يفشل فشلا ذريعاً، حتى يضطر أن يعترف هو نفسه بهذه الحقيقة المرة إن راضيا أو كارهاً، فقد قال مرة:

«لقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم أجدها تقوم بذلك، ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً، وأعظم هرباً من ذلك، وحاولتها على سنيات عثمان فأبت عليّ، وأين مثل هؤلاء؟ ومن يقدر على أعمالهم، رضينا بها ملكاً»[3].

وقال أحد بني أمية لمعاوية مرة: «والله لو قدرت أن تستكثر بالزنج لاستكثرت بهم لينتظم لك أمر الملك»[4].

وجرى حوار بين معاوية وصعصعة بن صوحان العبدي[5] عندما سأله معاوية: أي الخلفاء رأيتموني؟

---

١ ـ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، عماد الدين، حافظ ومؤرخ وفقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام سنة٧٠١هـ ، وانتقل إلى دمشق ودرس فيها، وله عدة مؤلفات منها البداية والنهاية مطبوع في عدة مجلدات، وتفسير القران الكريم، مطبوع في١٠ مجلدات، توفي بدمشق سنة٧٧٤هـ . ترجمه: الزركلي ـ الأعلام: ١ / ٣٢٠ .

٢ ـ ابن كثير ـ المصدر المتقدم: ٨ / ١٩ .

٣ ـ ابن كثير ـ المصدر المتقدم: ٨ / ١٣٢

٤ ـ الطقطقي ـ الفخري: ١٠٧ .

٥ ـ صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي من سادات عبد القيس ومن شخصيات الكوفة ولد في دارين (قرب القطيف)، كان خطيباً بليغا عاقلا، من أصحاب الإمام علي (ع)وشهد

فيرد عليه صعصعة ـ بكل صلابة وصراحة ـ : «أنى يكون خليفة من ملك الناس قهراً ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكراً؟!.

أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وما كنت فيه إلا كما قال القائل: لا حلي ولا سيري، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله ﷺ، وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ، فأنى تصلح الخلافة لطليق؟»[1].

وهل يمكن كمّ الأفواه مهما بلغت قسوة معاوية مع مخالفيه، وتعسف جلاوزته بكل ما يتأتى لهم من قوة وعنف، وكل يوم يمر عليه تتجلى الحقيقة أكثر فأكثر، إنها الغشاوة الوقتية فرضتها عوامل الترغيب والترهيب على عيون الناس، حتى إذا بدت شمس الواقع تظهر على «الانقلابي الخائن» للشرعية، وركضت وراءه الجموع على غير بصيرة، تجسيداً لنظرية «الاندفاع الجماهيري» الذي يلهث وراء الحدث فيؤيد الذي يعطي ويرهب، ويتوعد فيتأثر بذلك بتأثير وقتي لا يمكن أن يدوم بحال من الأحوال بعد انقشاع الغيمة.

ورغم كل هذا الفشل فالأمل الذي يراود معاوية بإضفاء ثوب الخلافة عليه تفتق عن مخرج جديد له ولأتباعه الذين باعوا دينهم

معه صفين، نفاه المغيرة من الكوفة بأمر من معاوية إلى جزيرة «أوال في البحرين»، ومات فيها سنة٥٦هـ وله من العمر نحو٧٠ عاماً، ورأي يقول أن قبره في بلدة تسمى «الكلابية» بالبحرين، وقيل مات بالكوفة، ونقل بعض المؤرخين أن مسجده لا يزال معروفا فيها. ترجمه ابن حجر ـ الاصابة: ت٤١٢٥ ، والزركلي ـ الاعلام: ٣ / ٢٠٥ .

١ ـ المسعودي ـ المصدر المتقدم: ٣ / ٥٠ طبع السعادة القاهرة ١٩٦٤ .

يدنياهم، بأن يمارسوا أسلوباً جديداً يدعمون به مطلبهم الأساسي به، وهو عنوان الخلافة، وذلك عن طريق تثبيت مسألة الصلح (المدعى)، والتنازل عن الخلافة في وجدان الأمة من خلال وضع حديث عن النبي ﷺ يضفي على ذلك شرعية الخلافة، وبيان لياقة معاوية لذلك، بمعنى أن حكم بني أمية على نحو شرعي.

في نهاية التطوافة

ويضم البحوث التالية:

١ ــ الملك في الشام، والخلافة في المدينة

٢ ــ الحسن يمهد الثورة لأخيه الحسين

٣ ــ نهاية المأساة

(١)

الملك في الشام والخلافة في المدينة

من خلال الصفحات التي وضعت عن الإمام المظلوم الحسن بن علي ﷺ نستطيع أن نركز على حصيلة رائعة، عن القيادة الحكيمة التي مثلها الإمام الحسن أيام خلافته التي جاءت على أعقاب محنة كبرى تمر على القيادة الشرعية المتجسدة بأهل بيت الرسول ﷺ، بداية من الإمام علي ونهاية بمحمد بن الحسن المهدي المنتظر ـ عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ـ.

فالحسن منصوص عليه بالإمامة من قبل جده النبي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وإمام مفترض الطاعة بأمر من الله سبحانه حيث نصت عليه السنة النبوية التي لا يمكن بحال من الأحوال مخالفتها، حين قال: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»، وهذا النص أمر إلهي صريح جدير بالوثوق، وحين يصدر منه عملاً لابد أن نأخذه على أساس من الوجوب الشرعي، وعلى الأقل نحن أتباع مدرسة أهل البيت ﷺ، وإن كان الأمر ـ في تصوري ـ نافذا حتى على غير الإمامية، لأنه جزء من السنة النبوية التي هي المصدر الثاني للتشريع، وبهذا يكون الخارج عليه خارجاً على الله.

ومن هذا المنطلق العقائدي نرى أن أي عمل يخالف مبدأ البيعة مرفوض شرعاً وعرفاً، وملزم لكل المسلمين على أساس أن الإمام

الحسن بويع بيعة إسلامية شرعية عامة، أصبحت في عنق كل مسلم أمانة، والخارج عليها خارج على الشرعية الإلهية، ولم يكن موقف معاوية منها إلا مروقاً عن الإسلام، كما هو الموقف من أبـيه علي عليه السلام في خلافته.

ولابد من ملاحظة أن الإمام الحسن عليه السلام حين وافق على الهدنة مع معاوية، كان على بصيرة بأصحابه وقادته الذين أخذوا يتسللون إلى معسكر معاوية في جنح الظلام ليقبعوا على الوعود الخلابة التي أخذ معاوية يمنيها أولئك الخونة، الذين غرتهم الدنيا فانساقوا إلى مصالحهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية والفئوية، وكان عليهم أن يفهموا أن موضوع الخلافة ـ بما هي منصب إلهي ـ لا يمكن أن تنقاد إلى مساومة أو تسليم، ولا يمكن أن تمسها الظروف الزمنية في «صلح» أو «تحكيم»[1].

والواقع المر الذي غص به معاوية بعد أن أعلن انقلابه على الإمام الحسن بنقض شرط اتفاقية الهدنة، ودفع المرتزقة ممن حوله على أن يبرزوه لائقا، وأنه أهل للخلافة، ولكنه لم يفلح حتى لدى المقربين له إذ لا يرونه أهلاً لها، ولذلك نرى الأعم الأغلب ممن قدم عليه من علية القوم لا يناديه باسم الخليفة، وكان يضيق ذرعا بذلك، وفوق ذلك كان يسمع منهم الصريح من الكلام بعدم أهليته لذلك، فمثلا لنستمع إلى الأحنف بن قيس[2] وهو يخطب في مجلس معاوية بمناسبة طلب

---

١ ـ آل ياسين ـ المصدر السابق: ٢٧٤ .

٢ ـ الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، أبو بحر، سيد تميم وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة

معاوية ولاية العهد ليزيد ـ بعد إلحاح عليه بالحديث ـ قال:

«أصلح الله الأمير، إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف، ومعروف زمان مؤتنف، وقد حلبت الدهور وجربت الأمور، فاعرف مَن تسند إليه الأمر بعدك، ثم أعصِ مَن يأمرك، ولا يغررك مَن يشير عليك ولا ينظر إليك، مع أن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا، ولا يبايعون ليزيد ما دام الحسن حياً.

ثم أردف قائلاً:

وقد علمت يا معاوية، أنك لم تفتح العراق عنوة، ولم تظهر عليه قعصاً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت، ليكون له الأمر من بعدك. فإن تفِ فأنت أهل الوفاء، وإن تغدر تظلم. والله إن وراء الحسن خيولا جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً. وإن تدن له شبراً من غدر، تجد وراءه باعاً من نصر. وإنك تعلم مَن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء، وإن السيوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعلى عواتقهم، والقلوب التي أبغضوك بها لبين جوانحهم...»[1]

الذي أقصده من عرض هذا الكتاب هو أن معاوية ما كان يحضى على خطيب ـ من غير جلاوزته ـ يناديه بلقب الخلافة، وحتى مروان بن

عام ٣ قبل الإسلام شهد مع الامام علي × صفين، وتوفي في الكوفة عام: ٧٢هـ ترجمه: ابن سعد ـ المصدر المتقدم: ٧ / ٦٦، والزركلي: الأعلام: ١ / ٢٧٦ .

١ ـ ابن قتيبة ـ المصدر السابق: ١ / ١٥٦ ـ١٥٨، والمسعودي ـ مروج الذهب: ٦ / ١٠٠ ـ١٠٢ هامش ابن الاثير، وآل ياسين ـ المصدر السابق: ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

الحكم لم يخاطبه برمز الخلافة ـ أمير المؤمنين ـ فقد ذكرت النصوص التاريخية بأنه اختلف مع معاوية بشأن تأمير يزيد، قال له فيما قال: «وأقم الأمر يا ابن أبي سفيان، وأهدأ من تأميرك الصبيان»[1].

المهم في سرد هذه النصوص لنستفيد منها أن معاوية فقد الأمل بالخلافة أن تنقاد إليه، وكان يظهر تأثره من الزائرين الذين يفدون عليه ولم يسلموا عليه بلقب أمير المؤمنين، ولهذا قال بعد اليأس: «رضينا بها ملكا».

ولنا من تصريح ابن كثير حيث ينفي الخلافة عن معاوية استناداً إلى الحديث النبوي: «إن الخلافة بعده ﷺ ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً،وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فأيام معاوية أول الملك»[2].

وزاد الدميري المتوفى ٨٠٨ هـ بعد ذكره لخلافة الإمام الحسن عليه السلام: «وهي تكملة ما ذكره رسول الله ﷺ من مدة الخلافة، ثم تكون ملكاً عضوضاً، ثم تكون جبروتاً وفساداً في الأرض، وكان كما قال رسول الله ﷺ»[3].

والمهم أننا إذ لا نرى ضيراً في اتفاق الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية في هدنة مؤقتة يحقن بها دماء البقية الباقية من صحابة جده الرسول والتابعين له، بعد أن رأى تخاذلا فضيعا بدا من الكوفيين، مما أدى إلى إعادة النظر في موقفه من الحرب، فهو يقول في خطابه أمام

---

١ ـ آل ياسين ـ المصدر السابق: ٣٠٦ .

٢ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية: ٨ / ١٩ .

٣ ـ الدميري ـ حياة الحيوان: ١ / ٥٨ .

الجماهير بالكوفة:

«إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلا، فكذب معاوية. فنحن أولى الناس بالناس في كتاب الله عز وجل، وعلى لسان نبيه...»[1].

ولعل هذا هو الأساس في قضية الإمام الحسن العادلة، كما هو وضحها بقوله ـ وهو يخاطب بعض أصحابه ـ :

«ما تدرون ما عملت، والله الذي عملت خير لشعبي مما طلعت عليه الشمس»[2].

ويؤكد هذا المضمون الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حين سئل عن صلح الحسن عليه السلام، فقال:

«إنه أعلم بما صنع، ولولا ما صنع لكان أمر عظيم»[3].

وأخيراً كان رغم كل ما مر على الإمام الحسن من ضيق ومشاكل من معاوية ومن بعض أصحابه، فإن الكلمة الأخيرة:

«الخلافة في المدينة. والملك بالشام»[4].

---

١ ـ ابن كثير ـ المصدر السابق: ٨ / ١٨ والطبري، وراجع المصدر السابق: ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .

٢ ـ آل ياسين ـ المصدر السابق: ٢٣٣ .

٣ ـ آل ياسين ـ المصدر المتقدم: ٢٣٣ .

٤ ـ ابن كثير ـ المصدر المتقدم: ٦ / ٣٢١ والقول المشار إليه منسوب لأبي هريرة .

(٢)

الإمام الحسن يمهد الثورة لأخيه الحسين

مما لا يمكن نكرانه أن الإمام الحسن عليه السلام سالم معاوية، وقرر عدم محاربته بأي مبرر كان، وأن الإمام الحسين رغم الظروف العسيرة التي كانت تحيط به حارب يزيد وهو يعلم أنه وجميع مَن معه يقتلون في كربلاء؟ هذا السؤال المركزي لابد من الإجابة عليه، وإن سبق أن أشرنا إلى ذلك في ثنايا حدثينا فيما مضى. غير أننا هنا بحاجة إلى توضيح أكثر، نظراً للمواقف الحدية التي تجلت في مأساة الإمام الحسين يوم كربلاء الحزين.

فالإمام الحسن يؤكد أكثر من مرة أنه لو حصل على أنصار لما خضع للهدنة، وقوله: «والله لو وجدت أنصاراً لقاتلت معاوية ليلي ونهاري»[1] واضح في هذا الصدد، فظرف معاوية يختلف كل الاختلاف عن ظرف يزيد الذي استباح كل المحرمات والمقدسات خلال السنوات القصيرة من حكمه، ومهما كانت الجماهير الشامية من السذاجة والبساطة ـ حينذاك ـ فهي كانت على بينة ـ إلى حد ما ـ بمعرفة الفارق بين عهد الأب والابن، فاستباحة المدينة المنورة والإجهاز على قداسة مكة مهما كانت المبررات الظاهرية أمام الجيش الغازي لكنها كانت

---

١ ـ الطبرسي ـ الاحتجاج: ١٥١.

تحفر لها أخاديد في نفوس الجيش، ولولا التعصب الإقليمي الذي ضخمه العهد الأموي وخاصة في فترة حكم يزيد لما قدم الغازون على الفعل الشنيع الذي ارتكبه جنود يزيد.

إن معاوية مهما كان من مروقه عن الدين وأفعاله اللاإنسانية فإنه ما كان يجهر بما يثير عليه ضجة الفجور، والتصدي للموبقات، والليالي الحمراء التي تتعارض مع أبسط قيم الدين، وبالعكس كان يزيد، فمعاوية ما كان يلزم الشاميين على اختلاف طبقاتهم بأن يحضروا مجلس عزاء يقيمه على قرد له كان يهواه ويسامره، هذه وأمثالها هيأت الأجواء المساعدة للنقمة عليه.

ونستطيع أن ندعي أن الإمام الحسن ﷺ قد هيأ بقبول الهدنة مع معاوية الأجواء لكشف زيف معاوية وعهده الذي تبنى مصلحة سلطته، وعدم خضوعه لأي قيمة دينية. وعلينا أن نفرق بين أمرين مهمين: بين قيم دينية، واستهتار في القيم الأخلاقية الدينية، ويزيد كشف عن كل ذلك. ومن هذا المنطلق نرى أن الذين دعاهم معاوية لحضور مجلس تنصيب يزيد لولاية العهد كانت إجابة غالبيتهم: «اتقِ الله يا معاوية أن تودع الأمر للصبيان».

وكان يحرص الإمام الحسين على عدم التحرك ضد معاوية بعد أخيه الإمام الحسن ﷺ، وحين طالبه أصحابه بالثورة ضد العهد الأموي كان يؤجلهم إلى ما بعد موت معاوية، وإن كان نفس الموقف الذي مني به الإمام الحسن في ندرة وجود الناصر فإن موقف الحسين كان أشد ضراوة في عهد يزيد، وإذا كانت خيانة الخوارج واضحة في عهد الإمام الحسن فإنها كانت أقل احتداماً في عهد الحسين ﷺ.

وهناك ناحية مهمة علينا أن لا نغض الطرف عنها، هي أن معاوية قاتل مستميتاً وفعل الأفاعيل كي يراه الناس أنه خليفة، واعترف بالخسران، أما يزيد فهو لا يفكر بذلك، إنما يرضى لنفسه أن يكون أميرا يعيش بترفه ونزقه وعيشه الرغيد، ولهوه وسمره، واهتمامه لما حوله من ترميم سلطانه.

لنستمع إلى الصحابي الجليل عبد الله بن حنظلة[1] قتيل واقعة الحرة يصف يزيد فيقول: «إنه رجل ينكح الأمهات، والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة»[2].

وقد نقل القلقشندي كتابا لمعاوية يوجهه إلى ولده يزيد يقول فيه: «بلغني أنك اتخذت المصانع والمجالس للملاهي والمزامير، كما قال تعالى: ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون * وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾[3] وجهرت الفاحشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهراً.

أعلم يا يزيد، أن أول ما سلبه السكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة، وآلائه المتواترة، وهي الجرحة العظمى، والفجعة الكبرى: ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها، وهو من أعظم ما

---

١ ـ عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر، وحنظلة غسيل الملاكة، تقول المصادر أن حنظلة حين أراد الخروج إلى أحد وقع على امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي، فعلقت بعبد الله وولدته بعد أحد بسبعة أشهر، وقبض رسول الله وهو ابن سبع سنين، وقد بايعه أهل المدينة في معركة الحرة، وأسندوا أمرهم إليه، ورفضوا خلافة يزيد، وكان زاهدا عابدا، وحين هجم الجيش الأموي على المدينة كان عبد الله في مقدمة المقاتلين حتى في تلك المعركة عام ثلاث وستين للهجرة.راجع ترجمته في ابن سعد ـ الطبقات الكبرى: ٥ / ٤٧ ، وابن حجر ـ تهذيب التهذيب: ٥ / ١٩٣٤٩.

٢ ـ السيوطي ـ تاريخ الخلفاء: ٨١ وتاريخ ابن عساكر: ٧ / ٣٧٢ ولزيادة الإطلاع في الموضوع يراجع القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٢٥ ـ٤٢٧ .

٣ ـ سورة الشعراء ـ آية: ١٢٨ ـ١٢٩ .

يحدث من آفاتها، ثم استحسان العيوب، وركوب الذنوب، وإظهار العورة، وإباحة السر، فلا تأمن نفسك على سرك ولا تعتمد على فعلك»[1].

وكلمات هذه الرسالة توضح مدى مرارة الأب المتألم من وضع ولده المارق عن الدين،ورغم مروق الأب عن الدين، فأن لوعة معاوية تبرز واضحة حين يحاول أن يوجه ولده إلى الله سبحانه.

وبعد، فإنه «منذ بدأ الحكام المسلمون يناوئون النزعة الإنسانية ليحولوه إلى مؤسسة تخدم مآرب فئة خالصة بدا علي وأبناؤه ﷺ وأصحابهم يدافعون عن شر مَن يريد تحريفه وتزويره.

كان هذا هو عمل علي طيلة حياته حتى إذا استشهد خلفه في الصراع ابنه الحسن، وقضت عليه ظروف المجتمع الإسلامي الاجتماعية والنفسية أن يهيئ هذا المجتمع للثورة على الحكم الأموي، حتى استشهد، وبقي الحسين وحيداً»[2].

والإمام الحسن حين ودع دنياه شهيدا بسم معاوية، كان خلال بقائه في المدينة المنورة بعد مغادرته العراق، وعقب قيام معاوية بانقلابه حين وصوله إلى الكوفة قد مهد الأجواء ضد البيت الأموي ـ كما أشرنا ـ ووفر المبررات للثورة على الحكم الأموي بكشف الجوانب المخالفة للقيم الإسلامية للرأي العام، وفي مقدمتها قتل المؤمنين الصالحين من الصحابة والتابعين، ورغم أن الإمام الحسين كان يجابه معاوية بقارص الكلام دون مجاملة ولا خوف كما جاء في رسالته

---

١ ـ القلقشندي ـ صبح الاعشى: ٦ / ٣٨٨ .

٢ ـ محمد مهدي شمس الدين ـ ثورة الحسين: ١٢٨ / بيروت طبع دار التعارف١٩٨١ (الطبعة السادسة).

المطولة لمعاوية، وفيها يذكره بمواقفه الخارجة على الدين:

«...وقلت فيما قلت: إن أنكرك تنكرني، وإن أكدك تكدني، فكد ما بدا لك، فإني أرجو ألا يضرني كيدك، وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك، لأنك قد ركبت جهلك، وتحرصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق، ولم تفعل ذلك إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظن، وقتلك أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة...»[1].

المتتبع لجوانب العهدين الحسن والحسين يرى أن الظروف الموضوعية التي هيأها الإمام الحسن لثورة تمخر في الصدور تكاد تتفجر في أي لحظة، غير أن الحسين كان يهدأ بها كي تتهيأ الظروف، وفعلا بعد موت معاوية ساعدت الظروف التي أحاطت بيزيد وخروقاته الفظيعة للقيم الإسلامية ساعدت على إعلان الإمام الحسين ثورته الجبارة.

وأخيراً، نرى أن «دور الحسن أن يهيئ عقول الناس وقلوبهم للثورة على حكم الأمويين. هذا الحكم الذي كان يشكل إغراءً قوياً للعرب في عهد أمير المؤمنين علي، والذي غدا فتنة للعراقيين بعده حملتهم على التخلي عن الإمام في أحلك الساعات، وذلك بأن يدع لهم فرصة اكتشافه بأنفسهم، مع التنبيه على ما فيه من مظالم وتعد لحدود الله»[2].

---

١ ـ ابن قتيبة ـ المصدر السابق: ١ / ١٨٩ ـ ١٩٠، والأمين ـ المصدر المتقدم: ٤ / قم: ١٤٣ ـ ١٤٦.

٢ ـ شمس الدين ـ المصدر المتقدم: ١٤٩ .

لاشك أن الإمام الحسين كان مع أخيه الحسن قبل اغتياله قد بحثا الثورة على الحكم الأموي، وأنهما كانا يخططان لها، لكنهما كانا على قناعة تامة أن تفجير التحرك أيام معاوية قد لا يحقق المطلوب سوى الانقضاض على البقية الباقية من علية المؤمنين والصالحين من عباد الله، وبوضوح نستفيد ذلك من الحوار الذي جرى بين الحسن وسليمان بن صرد الخز اعي، وهو يطلب منه تفجير الثورة ضد الحكم الأموي، فيرد عليه:

«أنتم شيعتنا، وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أعمل وانصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، ولا أشد شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدماء، فارضوا بقضاء الله، وسلموا الأمر، والزموا بيوتكم، وامسكوا، وكفوا أيديكم حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر».

«فالحسن إذن يهيئهم للحرب حين يأتي أبانها، وحين يحين حينها، ويأمرهم بالسلم المؤقتة حتى يستريحوا ويحسنوا الاستعداد، ومَن يدري لعل معاوية أن يريح الله منه فتستقبل الأمة أمرها على ما حب لها وصالحو المؤمنين»[1].

وهكذا كان الإمام الحسن يمهد لأخيه الحسين الثورة على الحكم الأموي، وفي عهد يزيد تفجرت، وكان الحسين مصمما على التضحية مهما كلف الأمر.

---

١ ـ د.طه حسين ـ الفتنة الكبرى: علي وبنوه ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

(٣)

نهاية المأساة

وكيفما كان، فقد صمم معاوية بعد عودته من المدينة المنورة إلى دمشق ـ وفشله في إقناع القوم بتولية ولده يزيد لولاية العهد ـ أن يتخلص من الإمام الحسن عليه السلام الذي أعرب غالبية مَن التقى بهم أن مرامه لا يتم ما دام الحسن حياً، وأن الجماهير مهما نالها من العسف والاضطهاد الاجتماعي، والجور الطبقي من الحكم الأموي، لازالت ترى في أبي محمد الحسن المأمن والملجأ من ظلم النظام الجائر، ومن خلال هذين العاملين أمله في بسط سلطانه ـ كما يريد ـ لن يتحقق في الساحة الإسلامية.

رسم معاوية خطة لتصفية الإمام الحسن، والتخلص منه، وتنفيذاً لذلك، فقد طلب من الأشعث بن قيس ـ رئيس كندة ـ والذي اشترك في اغتيال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[1]، وطلب منه أ ن يقنع ابنته جعدة ـ إحدى زوجات الإمام الحسن ـ في اغتياله بالسم، ويكون الجزاء مائة ألف درهم لهما، وزواجها من ولده يزيد[2]. وتمت الصفقة وسُلمت السم المخصص لهذه المهمة، وانتظر المتآمرون موعد تنفيذها.

---

١ ـ الأمين ـ المصدر السابق: ٤ / ٧٨.

٢ ـ المسعودي ـ مروج الذهب: ٢ / ٤٢٧، ونصر بن مزاحم ـ صفين: ٨٠.

وفي رواية أن معاوية كلف مروان بن الحكم أن يقوم بعملية إقناع جعدة بمهمة سم الإمام الحسن[1].

وفي غروب يوم قائظ تفاعلت فيه حرارة لهب الأرض بحرارة الشمس، فكان يوماً شديد الحر، وعاد الإمام من صلاته ليفطر حيث كان صائماً، فقدمت له جعدة السم، وأكثر المؤرخين يرون أن جعدة هي التي سمته.

نقل شيخنا المفيد:

«أن معاوية أرسل إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس، أني مزوجك بيزيد أبني على أن تسمي الحسن، وبعث إليها مائة ألف درهم، ففعلت وسمت الحسن عليه السلام، فسوغها المال، ولم يزوجها يزيد، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم، وقالوا: يابني مسممة الأزواج.»[2].

وقيل: إن السم ديف بلبن قدمته له زوجته عند الإفطار[3]..

وقيل: إنه خلط بشربة عسل، استناداً إلى ما رواه ابن عبد البر: بأن معاوية عند ما بلغه خبر موت الحسن قال: «يا عجبا من الحسن شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه»[4].

تقول الرواية: إن الإمام الحسن عليه السلام تناول من الشربة جرعة فأحس بألم شديد يمزق أحشائه، وعرف أن جعدة نفذت فيه مؤامرة

---

١ ـ القرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٧٦ .

٢ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٦ ، ونصر بن مزاحم ـ صفين: ٨٠ .

٣ ـ الحسن بن شيبة ـ تحف العقول: ٣٩١ طبع ايران .

٤ ـ ابن عبد البر ـ الاستيعاب: ١ / ٣٧٤ .

معاوية، فالتفت إليها قائلا: «ياعدوة الله قتلتني، قتلكِ الله»[1].

وروى الشيخ المفيد عن عبد الله بن إبراهيم عن زياد المخارقي، قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة استدعى الحسين بن علي عليهما السلام فقال له:

«يا أخي إني مفارقك ولاحق بربي جل وعز وقد سقيت السم ورميت كبدي في الطست، وإني لعارف بمَن سقاني السم، ومن أين دُهِيت، وأنا أخاصمه عند إلى الله تعالى، فبحقي عليك إن تكلمت في ذلك بشيء، وانتظر ما يُحدث الله عز ذكره فيّ، فإذا قضيت فغمضني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدد به عهداً، ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك.

وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيُجلبُون في منعكم عن ذلك، وبالله أقسم عليك أن تُهريق في أمري محجمة دم.

ثم وصى عليه السلام إليه بأهله وولده وتركته، وما كان وصى به إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهّله لمقامه، ودل شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده»[2].

وسنرى أنه لولا الوصية التي ألزم الإمام الحسن أخاه الحسين بها لكانت الفتنة على أشدها بين بني هاشم والأمويين الذين وقفوا إلى جانب أم المؤمنين عائشة، ساعة محاولة قيام بني هاشم تجديد

---

١ ـ ابن شيبة ـ المصدر السابق: ٣٩١.

٢ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٧.

جثمان الحسن العهد بقبر جده رسول الله ﷺ حسب وصيته بشرط أن لا يراق في سبيل طلبه محجمة دم، فرفضت أشد الرفض ذلك، على أساس أنها لا ترغب إدخال مَن لا تحب إلى دارها، تحدثنا الرواية، فتقول:

فلما مضى الحسن عليه السلام لسبيله غسله الحسين عليه السلام وكفنه وحمله على سريره، ولم يشك مروان ومَن معه من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله ﷺ فتجمعوا له ولبسوا السلاح، فلما توجه المشيعون بجنازة الحسن بن علي عليهما السلام إلى قبر جده رسول الله ﷺ ليجددوا به عهداً أقبلوا إليهم بنوا أمية في جمعهم، ومروان يصرخ ويقول:

يا رُب هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن مع النبي؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف[1].

ولحقتهم عائشة على بغل، وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أحب[2].

وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية لولا يتدارك الموقف ابن عباس ويبادر إلى مروان ـ مؤجج الفتنة ـ فقال له: أرجع يا مروان من حيث جئت، فإنا ما نريد (أن ندفن صاحبنا) عند رسول الله ﷺ، لكنا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته، ثم نرده إلى جدته فاطمة بنت أسد عليها السلام فندفنه عندها بوصية منه بذلك، ولو وصى بدفنه مع النبي ﷺ لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا، لكنه عليه السلام كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره، من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره،

---

١ ـ المفيد ـ المصدر المتقدم: ٢ / ١٨ .

٢ ـ المفيد ـ المصدر السابق: ٢ / ١٨ .

ودخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشة فقال لها: وا سوأتاه! يوما على بغل، ويوماً على جمل، تريدين أن تطفئي نور الله، وتقاتلين أولياء الله، ارجعي فقد كُفيت الذي تخافين، وبلغت ما تحبين، والله تعالى منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين.

وقال الحسين عليه السلام: «والله لولا عهد الحسن إلي بحقن الدماء، وأن لا أهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا»[1].

ومضى المشيعون بالحسن عليه السلام إلى البقيع، وكانوا ـ كما وصفوا مظهر التشيع ـ:

«ولو طرحت ابرة لما وقعت إلا على رأس إنسان»[2]. «ودفن عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها وأسكنها جنات النعيم»[3].

ونقل بعض المؤرخين:

انتقل الإمام إلى جوار ربه في السابع من صفر عام ٤٩ه[4] شهيداً مظلوماً.

وينقل لنا المؤرخون: أن ابن عباس دخل على معاوية ـ بعد

---

١ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٦ ـ ١٩ .

٢ ـ ابن حجر ـ الاصابة: ١ / ٣٣٠، والقرشي ـ المصدر السابق: ٢ / ٤٩١ .

٣ ـ المفيد ـ الارشاد: ٢ / ١٩.

٤ ـ ابن الاثير ـ المصد السابق: ٣ / ٤٦٠

اغتيال الحسن ـ فلما استقر به المقام، التفت إليه معاوية ـ وهو جذلان مسروراً ـ قائلاً: يا ابن عباس هلك الحسن؟!

فقال ابن عباس له: نعم هلك، إنا لله وإنا إليه راجعون، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أما والله ما سد جسده حفرتك، ولا زاد نقصان أجله في عمرك، ولقد مات وهو خير منك، لئن أصُبنا به فلقد أصُبنا بمَن كان خيراً منه، جده رسول الله ﷺ فجبر الله مصيبته، وخلف من بعده أحسن الخلف.

وكان معاوية يتطلع إلى معرفة أفكار ابن عباس بالنسبة للإمام الحسين عليه السلام، ومدى ما يتمتع به من مكانة لدى ابن عمه، فقطع كلامه معاوية، وقال له: يابن عباس أصبحت سيد قومك؟ فرد عليه ابن عباس قائلاً: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين ابن رسول الله فلا»[1].

واعتقد معاوية أن وجود الإمام الحسن حياً حجر عثرة في طريق قبول المجتمع الإسلامي أمرين مهمين له، هما:

الأول ـ إطلاق لقب الخليفة عليه، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وأخيراً يأس من ذلك، وقال ـ وغصة الخيبة تكاد تقتله ـ: «رضينا بها ملكا».

الثاني ـ توليّة ولده يزيد وكان كلما عرض الأمر على جماهير القوم كان ردهم: أعطيت عهداً للحسن فلا يكون ذلك.

وخلص معاوية من كل ما مر به أن خطته لم تكمل إلا بتصفية الإمام الحسن، وعليه في عرف حكام الطغاة أن يتخلص منه بأية وسيلة كانت، فهو «ميكافيلي» ومثله يبرر الواسطة مهما كانت للوصول

---

١ ـ اليعقوبي ـ تاريخه: ٢٢٢٥ ـ ٢٢٦ ط بيروت / دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٠

إلى الهدف. وقد حارب علياً وحسناً من أجله، إذاً فمعاوية اعتمد في مخططه تغيير واقع الخلافة من قضية دينية إلى أمر دنيوي إذا لم يتمكن من تجسيد الجانب الأول لنفسه.

وهكذا وصل معاوية إلى هدفه الدنيوي، بعد أن عجز عن تحقيق الأمر الأول له، ولكن هذا الأمر هل حقق له ما أراد؟ الجواب استطاع أن يفرض على الناس ولاية يزيد من بعده سواء بالقوة أو الترغيب، ولكن إلى حين، وبقي الإمام الحسن عليه السلام علما شاخصاً متوجا برضا الله سبحانه، وإماماً مفترض الطاعة على المسلمين ماكر الجديدين وذكره يتجدد على مر السنين.

الفهارس

الأعلام

البلدان

المصادر

المواضيع

فهرست الأعلام

أبي عبيد ة بن الجراح ـ ٧٣
أبي طلحة الانصاري: ٣٤
أبي سعيد الخدري: ٢٢
أبي اسحق الموصلي: ١٦٧
أبي طالب : ١٣٣
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: ١٢١ ـ١٢٧ ـ ١٤٢
أبو موسى الأشعري= عبد الله بن قيس: ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٦٨ ـ ٨٩.
أبو بكر : ٢٩ ـ ٧٣ ـ ٧٤.
أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي: ٤٤ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٥٤ ـ ١٧٢.
أبو طالب محمد بن علي المكي : ١٦٥ ـ ١٦٨ ـ ١٦٩ـ ١٧١.
أبو هريره: ١٢٩ ـ ١٥٥ ـ ١٧٧.
أبو جعفر المنصور : ١٦٩ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤.
أبو سفيان: ١٠ ـ ١١ ـ ١٣٣.
ابن أبي سرح = عبد الله بن سعيد: ٥٥.
ابن الصباغ المالكي المكي = علي بن محمد: ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢٦ ـ ١٣٠.
ابن عدي = عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني: ١٦٦.
ابن أبي الحديد : ١٢٩ ـ ١٥٦ ـ ١٦٤.
ابن حجر : ١٢٨ ـ ١٥٧.
ابن عرفه (نفطويه): ١٢٩.
ابن أبو معيط = عقبة بن أبان بن ذكوان : ٥٥.
ابن ملجم = عبد الرحمن: ١١ ـ ٦١ ـ ٦٩ ـ ١٥٨.
أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف : ١٥٦.

البراء بن عازب: ٢١.
أبو بكرة = نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي: ٢٢ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤.
القلقشندي: ١٩٠.
الشعبي : ١٢٨ ـ ١٤٨ ـ ١٥٥.
الهيثمي : ١٥٣.
هشام ابن الحكم : ١٠٢ ـ ١٧٥.
أحمد بن أبي يعقوب = اليعقوبي : ١٢١.
المسيح = عيسى بن مريم : ٢٤ ـ ٢٧ ـ ٦٢.
الزبير بن العوام : ٣٣ ـ ٤٢ ـ ٤٥ ـ ٥٣ ـ ١٥٣.
الأعشى : ٣٢ ـ ٧٥.
الأشعث بن قيس : ١١ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٦١ ـ ٨٢ ـ ٨٧ ـ ٨٩ ـ ١٩٤ .
العباس بن عبد المطلب : ١٧٥.
أنس بن مالك : ١٦٣.
الأحنف بن قيس : ١٨٤.
البهي (مولى الزبير) : ١٥٤.
إسماعيل بن راشد : ١٢٨.
إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي = ابن كثير: ١٧٨ ـ ١٨٦.
إسماعيل بن علي = أبو الفداء : ١٢٥.
اسحق بن محمد بن اسحق السوسي : ١٥٧.
أحمد بن أبي خيثمة : ١٦٧.
أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله البصري = المدائني : ١٦٤ ـ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ١٧١.

أم سلمة (زوج النبي) : ٢٥.
الحاكم النيسابوري : ١٥٦.
الشيخ المفيد (محمد بن محمد النعمان) : ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٨٢ ـ ٩٥ ـ ١٠٠ ـ ١٤٠ ـ ١٤٣ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦.
المقداد بن الأسود : ٣٥.
محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز = الذهبي : ١٦٦.
عمرو بن حريث : ٨٧.
علي بن أبي طالب : ٥ ـ ٩ ـ ١١ ـ ٢٠ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٦ ـ ٥٨ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٢ ـ ٧٩ ـ ٨١ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩١ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ١٠١ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١١٠ ـ ١١٧ ـ ١١٩ ـ ١٢٢ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٩ ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٥١ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٣ـ ١٦٤ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٦ ـ ١٨٣ ـ ١٨٥ ـ ١٩٢ ـ ١٩٤ ـ ١٩٦ ـ ٢٠٠ .
علي بن أبي الكرم = ابن الأثير : ١٢٤ ـ ١٢٥.
عائشة (راكبة الجبل) : ٤٢ ـ ٤٦ ـ ٥٣ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨.
عثمان بن عفان : ١٠ ـ ٣١ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٤٠ ـ ٤٢ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٦٦ ـ ٧٧ ـ ١٠٢ ـ ١١٠ ـ ١٣٦ ـ ١٦٧ ـ ١٧٨ ـ ١٩٧.
عثمان ابن الحميد = عبد الرحمن المجازي : ١٢٨.
عثمان بن شرحبيل : ١٠٠.
علقمة بن وائل الحضرمي : ١٠٢ .
عدي بن حاتم : ٩٣ ـ ٩٤ ـ ١٠٣.
عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب : ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٦٧.

عبد الرحمن بن عوف : ٣٣ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٦٦.
عمر بن الخطاب : ٢٩ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٤٠ ـ ٥١ ـ ٥٧ ـ ٧٣ ـ ١٠٢ ـ ١٣٦ ـ ١٧٨.
عمرو بن العاص : ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٦٨ ـ ١٢٣ ـ ١٢٩.
عروة بن الزبير : ١٢٩.
عبد الله بن عباس : ٩ ـ ٣٢ ـ ٣٤ ـ ٥٦ ـ ٦٤ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٩٠ ـ ١٢٢ ـ ١٩٩ .
عبيد الله بن عباس : ٩٦ ـ ٩٩ ـ ١٠٣ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢.
عبيد الله بن عمر : ٥١ ـ ٥٢.
عبد الله بن عمر : ٣٣ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ١٣٤.
عبد الله بن الزبير : ٤٥ ـ ٤٦.
عبد الله بن إبراهيم : ١٩٦.
عبد الله بن حنظلة : ١٩٠.
عبد الله بن الحسن : ١٧٢.
عبد الله بن جعفر : ١٢٤.
عبد الله بن عامر : ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤.
عوانة بن الحكم : ١٢٨ ـ ١٦٧.
عبد الصمد بن علي العباسي : ١٦٩.
عبد الملك بن قريب بن علي بن اصمع الباهلي = الأصمعي : ١٦٦.
عمار بن ياسر : ٤٣ ـ ١٥٤.
عبد مناف : ١٣٣.
عبد المطلب (جد النبي) : ١٣٣.
حجار بن ابجر : ٨٧.
حماد : ١٤٩.

حمير : ٧٨.
جاريه بن قدامة : ٧٠.
جندب بن عبد الله الازدي : ٧٧ ـ ٨١ .
جعدة بنت الاشعث : ١٩٤ ـ ١٩٥.
جبرائيل : ٢٠ ـ ٦٢.
الحارث بن سويد التميمي : ٧٧.
الحسن (ع) : ٣ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٩ ـ ١١ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٤ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٥ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٦ ـ ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٦ ـ ١٧٨ ـ ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
الحسين (ع) : ٣ ـ ٥ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٤٦ ـ ٥٢ ـ ٦٥ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١٨ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ ـ ١٢٩ ـ ١٤٠ ـ ١٦٢ ـ ١٦٤ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٨٣ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩.
حبيب بن مسلمة : ٥٥.

خالد بن معمر : ١٠٠.
زياد المخارقي : ١٩٦.
زيادة بن عبد الله = أبا السكن : ١٢٨.
مسلم : ١٦٦.
موسى بن رياح بن عبيدة : ١٢٨.
موسى بن عبد الرحمن المسروقي : ١٢٨.
معقل بن رياح التميمي : ١٠٣.
مؤمن بن محمد الشبلنجي الشافعي : ١٦٤.
مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي : ١٧٠ ـ ١٧١.
المبارك بن الحسن : ١٤٩.
مصعب الزبيري : ١٦٧.
المغيرة بن شعبة : ١٠٠ ـ ١٢٩.
المسعودي : ٤٤ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٥٤ ـ ١٧٢.
ميكافيلي : ١٩٩.
معقل بن قيس الرياحي : ٩٤.
مالك الأشتر : ٥٦.
محمد بن علي الباقر (الأمام) : ١٢٩ ـ ١٨٧.
محمد ذي النفس الزكية : ١٧٣.
محمد بن الحنفية : ٤٦.
محمد (ص) رسول الله : ٣ ـ ٥ ـ ٦ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٤٢ ـ ٥٢ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ ـ ٦٩ ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ٧٤ ـ ٨٣ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٧ ـ ١١٨ ـ ١٣١ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٩ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤

ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٤ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨٣ ـ ١٨٦ ـ ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٩.

محمد بن الحسن (المهدي المنتظر عج) : ١٨٣.

محمد بن مسلم = ابن قتيبة : ١٢٠.

محمد بن سيرين : ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣.

سمرة بن جندب : ١٥٨ .

سعيد بن جبير : ١٢٨.

سليمان بن صرد الخزاعي : ٤٩ ـ ٥٠ ـ ١٩٣.

سعد بن معاذ : ٥٧ ـ ٥٨.

سعد بن مالك : ١٧٧.

سعد بن أبي وقاص : ٣٣ ـ ١٧٧.

شبث بن ربعي : ٨٧.

زيد بن علي : ١٧٥.

زياد ابن أبيه : ٧٠.

معاوية : ٥ ـ ٦ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ٤٢ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٥ ـ ٦١ ـ ٦٤ ـ ٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ٧٢ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ ـ ٨٥ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١٧ ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٥ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ١٥١ ـ ١٥٤ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦٤ ـ ١٦٧ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨٤ ـ

١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ
١٩٥ـ ١٩٦ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
مروان بن الحكم : ٣٦ ـ ١٧٥ ـ ١٨٥ ـ ١٩٥ ـ ١٩٧.
ميكائيل : ٦٢.
موسى (نبي الله) : ٦٢.
فاطمة (الزهراء): ٥ ـ ٦ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٤٢ ـ ١٦٢.
الفضل بن ربيعة : ١٢٢.
فاطمة بنت أسد : ١٩٦ ـ ١٩٧ ـ ١٩٨ .
فاختة بنت قرضة بن عمر بن نوفل : ١٢٢ ـ ١٢٣ ـ ١٥٤.
طلحة بن عبيد الله : ٣٣ ـ ٤٢ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٥٣.
النسائي : ١٢٨.
السيوطي :١٥٦.
الشيخ المظفر : ١٣١.
ياقوت الحموي : ١٦٧.
يحيى ابن معين : ١٦٧.
يوشع بن نون : ٦٢.
يزيد بن معاوية : ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٨٨ ـ ١٨٩ ـ ١٩٠ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ
١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠.
يوسف بن عبد الله = ابن عبد البر : ١٢٥ ـ ١٩٥.
كمال الدين الدميري : ١٤٨ ـ ١٥٥ ـ ١٨٦.
قيصر : ٢٥.
قيس بن سعد بن عبادة : ١٠٣ ـ ١٤٠.
قيس بن سعد الانصاري : ٦٥.

قرظة بن كعب الأنصاري : ٤٤.
صعصعة بن صوحان العبدي : ١٧٨ ـ ١٧٩.

فهرست المدن

الأنبار : ٩٩.

بغداد: ٩٦ ـ ١٦٨.

البصرة : ٤٢ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٩ ـ ٥٣ ـ ٦٤ ـ ٧٠ ـ ٧٨ ـ ٨٠ ـ ٨١ .

الحجاز : ٦٤ ـ ١٢٥ ـ ١٧٤ ـ ١٨٥.

دار أبجرد : ١٢٢ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٣٧.

المدينة المنورة : ١٩ ـ ٤٢ ـ ٤٧ ـ ٦٦ ـ ١٠٢ ـ ١٢٥ ـ ١٧٧ ـ ١٨٣ ـ ١٨٧ ـ ١٨٨ ـ ١٩١ ـ ١٩٤ ـ ١٩٧.

مكة المكرمة : ١٠٢ ـ ١٥٤ ـ ١٦٨ ـ ١٨٨.

مصر : ١٧٠.

مسكن (سميكه) : ٩٧ ـ ١٠٣ ـ ١٤٠.

المدائن (سلمان باك) : ٦٤ ـ ٧٠ ـ ٩٧ ـ ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ .

الشام (دمشق) : ٩ ـ ١١ ـ ٧٧ ـ ٩٦ ـ ٩٩ ـ ١٠٢ ـ ١٤١ ـ ١٥٤ ـ ١٧٧ ـ ١٨٣ـ ١٩٤.

كربلاء : ١٨٨.

الكوفة : ٩ ـ ١١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ٦١ ـ ٦٤ ـ ٦٧ ـ ٧٠ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨٢ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٦ ـ ٩٩ ـ ١٠٩ ـ ١٣٣ ـ ١٤٠ ـ ١٤٧ ـ ١٥٧ ـ ١٩١.

فارس : ٦٤ ـ ٧٠ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦.

الطائف : ١٥٣.

العراق : ٦٤ ـ ٧٤ ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩ ـ ٨١ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩٦ ـ ١٢١ ـ ١٤٠ ـ ١٨٥ ـ ١٩١.

النخيلة : ٩٣ ـ ٩٤ ـ ١٤١.

النهروان : ٤١ ـ ١٠٥.

الهاشمية : ١٧٢.

اليمن : ٦٤.

مصادر البحث :

- ابن أبي الحديد - عزالدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت : ٦٥٦ هـ).
شرح نهج البلاغة / طبعتان: الأولى مصر، والثانية القاهرة، عيسى البابي الحلبي، تحقيق أبي الفضل إبراهيم.
- ابن أبي الدم الحموي - شهاب الدين، إبراهيم بن عبدالله، المعروف بابن أبي الدم الحموي (ت: ٦٤٢).
التاريخ المظفري / طبع القاهرة دار الثقافة للنشر ١٩٨٥.
- ابن الأثير - عزالدين علي بن الحسن بن محمد بن عبد الكريم الجزري(ت:٦٣٠هـ).
الكامل في التاريخ / طبع بيروت دار صادر ١٩٦٥ (الطبعة الخامسة).
- ابن أعثم - أحمد بن أعثم الكوفي (ت: نحو ٣١٤).
الفتوح / طبع بيروت
- ابن بدران - عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بدران (ت: ١٣٤٦).
تهذيب تاريخ ابن عساكر / طبع دمشق ١٣٢٩.
- ابن تغري بردى - يوسف بن تغرى بردى بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ).
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة / مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ١٩٦٣.
- ابن الجوزي - عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ).
الأذكياء وأخبارهم
تذكرة الخواص / منشورات أهل البيت بيروت ١٩٨١.
فتح الباري في شر صحيح البخاري / طبع بولاق مصر.

لسان الميزان / طبع حيدر آباد دكن، بيروت مؤسسة الأعلمي ١٩٧١.
- ابن حجر - أحمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري (ت : ٩٧٤ هـ).
الصواعق المحرقة / طبع القاهرة ١٣١٢.
- ابن حجر - أحمد بن علي بن محمد الكناني، ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢ هـ).
الإصابة في تمييز أسماء الصحابة / طبع مصطفى محمد القاهرة ١٩٣٩.
تهذيب التهذيب / طبع حيدر آباد دكن.
- ابن حزم - علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت: ٤٥٦ هـ).
الفصل في الملل والنحل / طبع بيروت دار الجيل ١٩٨٥.
- ابن حنبل - احمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت : ٢٤١هـ).
المسند / طبع دار صادر بيروت.
- ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي (ت: ٨٠٨ هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر / طبع بيروت.
- ابن خلكان - شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت : ٦٨١ هـ).
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / القاهرة مطبعة النهضة ١٩٤٨.
- ابن الصباغ المالكي - علي بن محمد بن أحمد الصباغ المالكي المكي (ت: ٨٥٥ هـ).
الفصول المهمة في معرفة أصول الأئمة / طبع النجف مطبعة العدل ١٣٨١.
- ابن طاووس - علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (٦٦٤).
الملاحم والفتن / طبع بيروت مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر ١٩٨٨.
- ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المالكي الاندلسي (ت ك ٤٦٣ هـ).
الاستيعاب / طبع حيدر آباد دكن.

- ابن عبد ربه - أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت: ٣٢٨)
العقد الفريد / طبع القاهرة دار التأليف والنشر والترجمة ١٩٦٧ تحقيق أحمد الزرين ورفاقه.
- ابن عبدوس = الجهشياري.
ابن العربي - محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الاشبلي المالكي، المعروف بأبي بكر العربي (٥٤٣)
العواصم من القواصم / القاهرة المطبعة السلفية ١٣٣٠.
- ابن عساكر - علي بن الحسين الدمشقي (ت : ٥٧٣ هـ).
تاريخ دمشق الكبير / المعروف بتاريخ ابن عساكر / طبع دمشق ١٣٢٩.
- ابن عقيل - محمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر الحضرمي العلوي الحسني من آل يحيى (ت: ١٣٥٠)
النصائح الكافية لمن يتولى معاوية / طبع بغداد مطبعة النجاح ١٩٦٧.
- ابن العماد - عبدالحي بن أحمد بن أ:مد بن العماد البكري الحنبلي (١٠٨٩)
شذرات الذهب في اخبار من ذهب / طبع القاهرة.
- ابن قتيبة - عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت: ٢٧٦هـ).
الإمامة والسياسة / أوفست عن الطبعة الأولى - مصر تحقيق
- عيون الأخبار / طبع دار الكتب السورية
المعارف / مصر
- ابن قولويه - جعفر بن محمد بن جعفر بن قولويه القمي (ت٣٦٨هـ)
كامل الزيارات / طبع ايران
- ابن كثير - إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: ٧٧٤هـ).
البداية والنهاية / طبع القاهرة مطبعة السعادة ١٩٣٢.
- ابن مزاحم - نصر بن مزاحم بن سيار المنقري (ت : ٢١٢ هـ).

وقعة صفين / طبع قم ـ إيران مطبعة بهمن ١٤١٨ هـ تحقيق عبد السلام محمد هارون منشورات مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي ـ قم.

ـ ابن معد ـ فخار بن معد الموسوي (ت: ٦٣٠)

الحجة على الذهب إلى تكفير أبي طالب، والمعروف بـ (إيمان أبـي طالـب) طبـع النجف مطبعة الآداب ١٣٨٤، تحقيق محمد بحـر العلـوم. الطبعـة الثانيـة) منشورات مكتبة النهضـة، بغداد.

ـ ابن هلال ـ إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي (ت: ٢٨٣)

الغارات / طبع بيروت دار الاضواء ١٤٠٧ هـ تحقيق المرحوم السيد عبدالزهراء الخطيب.

ـ ابن هشام ـ عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣).

السيرة النبوية / طبع البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٥.

ـ أبو حيان التوحيدي ـ علي بن محمد التوحيدي (ت: ٤٠٠).

البصائر والذخائر / طبع مصر.

ـ أبو داود ـ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الازدي السجستاني، أبـو داود (ت: ٢٧٥).

السنن (أحد كتب الصحاح الست) / طبع.

ـ أبو ريه ـ محمود أبو ريه (من شيوخ الأزهر) من أعلام القرن الماضي.

شيخ المضيرة أبو هريرة / طبع القاهرة دار المعارف الطبعة الثالثة.

ـ أبو عبيد ـ القاسم بن سلم الهروي الأزدي الخزاعي الخراساني البغدادي (ت: ٢٢٤).

الأموال / طبع مصر.

ـ أبو الفداء ـ إسماعيل بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بـن أيـوب (ت: ٧٣٢هـ).

المختصر في اخبار البشر / يعرف بـ (تاريخ أبي الفداء) / طبع دار ال كتاب اللبناني بيروت.
- أبو مخنف - لوط بن يحيى الازدي الكوفي (ت: ١٥٧ هـ).
كتاب الجمل وصفين ، والنهروان / طبع لندن مطبعة الصدر ١٤٢٢ هـ جمع وتحقيق حسن حميد السنيد، إصدار دار الإسلام - لندن.
- أبو النصر - عمر أبو النصر (من أعلام القرن الماضي).
الخوارج في الإسلام / طبع بيروت ١٩٨٢.
السياسة عند العرب / طبع مصر.
- أبو نعيم الاصفهاني - أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت : ٤٣٠هـ).
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
- أحمد أمين - أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ (ت: ١٣٧٣ هـ)
ضحى الإسلام / مصر.
فجر الإسلام / مصر.
- آل علي - نور الدين بن حسين الشاهرودي (معاصر).
الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب / طبع بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨٦.
- آل ياسين - راضي الشيخ محمد حسن بن عبد الحسين بن باقر آل ياسين (ت: ١٣٧٢ هـ).
صلح الحسن / طبع بيروت منشورات ناصر خسرو (الطبعة الثانية) ١٩٧٨.
- الاصبهاني - علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأموي القرشي، أبو الفجر (ت: ٣٥٦).
الأغاني / طبعة القاهرة دار الكتب.
مقاتل الطالبيين / طهران مطبعة عترة ١٤٢٥هـ، شرح وتحقيق أحمد صقر.
- أمير علي / أمير علي سعادت علي الهندي (ت: ١٣٤٧ هـ)

مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ـ ترجمة عفيف البعلبكي / طبع بيروت دار العلم للملايين ١٩٦٧.

ـ الأميني ـ عبد الحسين بن أحمد الأميني (ت: ١٣٩٠هـ).

الغدير / طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٦٧.

ـ الأمين حسن محسن الأمين العاملي (ت: ١٩٥٨)

دائرة المعارف الشيعية / طبع بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٣.

ـ الأمين محسن الأمين العاملي (ت: ١٩٥٨)

أعيان الشيعة ـ طبع بيروت دار التعارف (الطبعة الثانية) ١٩٨٣.

ـ الأمين شريف يحيى الأمين

معجم الفرق الإسلامية / طبع بيروت دار التعارف ١٩٨٣ (الطبعة الثانية).

ـ الأبياري ـ إبراهيم بن إسماعيل الابياري (١٤١٤ هـ)

معاوية الرجل الذي أنشأ دولة (سلسلة أعلام العرب) / طبع مصر.

ـ بحر العلوم ـ محمد علي بن هادي بحرالعلوم (المؤلف المعاصر).

حجر بن عدي ـ طبع بيروت دار الزهراء.

الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا / طبع بيروت دار الزهراء للطباعة والنشر.

ـ البراقي ـ حسين بن أحمد البراقي (ت: ١٢٢٢) تحقيق محمد صادق بحر العلوم.

تاريخ الكوفة / طبع النجف الحيدرية ١٩٣٧ وطبعة دار الأضواء وهي الرابعة ١٩٧٨م.

ـ بروكلمان ـ كارل بروكلمان ـ مستشرق الماني ـ (ت: ١٩٥٦)

تاريخ الشعوب الإسلامية / طبع بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٤ ترجمة نبيه امين فارس و منير البعلبكي.

ـ البغدادي ـ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ).

خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب / طبع مصر ١٢٩٩ هـ

- البلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ).
أنساب الأشراف / طبع بيروت مؤسسة الأعلمي.
فتوح البلدان / طبع القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي.
- بيضون - د. إبراهيم بيضون (معاصر - لبنان).
التوابون / طبع بيروت.
الحجاز والدولة الإسلامية / طبع بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات الإسلامية ١٩٨٣.
ملاحم التيارات السياسية في القرن الأول الهجري / طبع بيروت دار النهضة العربية ١٩٧٩.
- البيهقي - أحمد بن الحسن بن علي الشافعي (ت: ٤٥٨هـ).
المحاسن والمساوي / طبع دار صادر بيروت .
- بولس سلامة (اديب لبناني: ت١٩٧٩).
ملحمة الغدير (شعر) / طبع بيروت .
- تسهير - اجناس جولد تسهير، وأسمته بعض المصادر اجناس كولد صهر، ويلفظ اسمه بالالمانية ما نقلناه (١٩٢١م)\
العقيدة والشريعة في الإسلام / طبع دار الكتاب القاهرة ١٩٤٦ ترجمة علي حسن عبدالقادر، ومحمد يوسف عيسى، وعبدالعزيز عبدالحق.
- جلوب جوب با جوب جلوب (مستشرق)
امبراطورية العرب / تعريب وتعليق خيري حماد طبعة بيروت دار الكتاب العربي ١٩٦٦.
- جمال الدين - الحسيني.
عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / طبع النجف المطبعة الحيدرية (ت: ١٣٨٠هـ).

- الجهشياري - محمد بن عبدوس بن عبدالله الكوفي الجهشياري (ت: ٣٣١)
الوزراء والكتاب / طبع القاهرة مصطفى محمد ١٩٣٨.
- الحاكم النيسابوري - محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري (ت: ٤٠٥)
مستدرك على الصحيحين / طبع حيدرآباد دكن.
- حتي - فيليب خوري حتي (ت: ١٩٧٨)
تاريخ العرب / طبع بيروت دار غندور للطباعة والنشر ١٩٩٠ (الطبعة الثامنة).
- حسن إبراهيم - د. حسن إبراهيم حسن (ت: ١٣٨٨).
تاريخ الإسلام / القاهرة مطبعة المصرية ١٩٦٦.
- حسن علي إبراهيم حسن
التاريخ الإسلامي العام / طبع القاهرةز
- الحموي / ياقوت
- الخربوطلي - د. علي حسين الخربوطلي
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي / طبع القاهرة دار المعارف ١٩٥٩.
١٠ ثرات في الإسلام / طبع بيروت ١٩٦٩.
- الخزرجي - أحمد بن عبدالله بن أبي الخير بن عبدالعليم الخزرجي الأنصاري الساعدي (ت: بعد ..... هـ
خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال / طبع امصر الخيرية ١٣٢٢ هـ
- الخطيب البغدادي - أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت: ٤٦٣هـ).
تاريخ بغداد / طبع القاهرة مطبعة السعادة ١٩٣١.
- دكسن - عبالأمير حسين دكسن (معاصر)
الخلافة الأموية / طبع القاهرة مطبعة السعادة ١٩٣١.
- الدميري - محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري (ت: ٨٠٨).

- الدوري - د. عبدالعزيز الدوري
مقدمة في تاريخ صدر الإسلام / طبع بغداد المعارف ٩٤٩.
حياة الحيوان / طبع إيران المكتبة الإسلامية.
- الدينوري - أحمد بن داود الدينوري (ت: ٢٨٢هـ).
الأخبار الطوال / طبع القاهرة السعادة ١٣٣٠.
- الذهبي - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨هـ).
تاريخ الإسلام / طبع دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٩.
ميزان الاعتدال / طبع دار الكتب العربية
- الرواي - ثابت إسماعيل الراوي (معاصر).
العراق في العهد الأموي / طبع النجف مطبعة النعمان ١٩٧٠.
- الرحماني - أ؛مد الرحماني الهمداني (ت: ١٣٨٣).
الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / طبع طهران مطبعة المنير للطباعة والنشر ١٤٢٦ هـ
- ري شهري - محمد ري شهري إيراني (معاصر).
ميزان الحكمة / طبع طهران مطابع مركز النشر ١٤٠٣ هـ
- الريس - د. الريس.
عبدالملك بن مروان والدولة الأموية / القاهرة مطابع سجل العرب ١٩٦٩.
- زيدان / جرجي بين حبيب زيدان (ت: ١٩١٤).
التمدن الإسلامي / طبع القاهرة مطبعة الهلال.
- الزركلي - خير الدين الزركلي (ت: ١٣٩٦).
الأعلام / طبع بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٦ (الطبعة السابعة).
- سالم - السيد عبدالعزيز سالم (معاصر)
تاريخ الدولة دار النهضة العربية ١٩٧١.

- سبط ابن الجوزي - يوسف بن فرغلي البغدادي (ت: ٢٣٠ هـ)
تذكرة الخواص / طبع النجف مطبعة الحيدرية ١٣٨٣.
- سليمان كامل سليمان.
الحسن بن علي / بيروت دار الكتاب اللبناني ١٣٩٩.
- السمهودي - علي بن عبدالله بن أحمد الحسني السمهودي (ت: ٩١١).
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى / طبع القاهرة.
- سيد - بول . ل. م
تاريخ العرب العام / طبع القاهرة الحلبي ترجمة عادل زعيتر ١٩٤٨.
- السيوطي - عبد الرحمن بن أبي بكر بم محمد بن سابق السيوطي (ت: ٩١١ هـ).
تاريخ الخلفاء / طبع مطبعة المدني القاهرة ١٩٦٤، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.
اللئالي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة / طبع بيروت المعرفة ١٩٨٣.
- الشافعي - محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي المطلبي (ت: ٢٠٤).
آلام في الفقه / طبع بيروت دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٨٢ (الطبعة الثانية).
- شرف الدين - عبدالحسين بن يوسف شرف الدين العاملي الموسوي (ت: ١٣٧٧).
النص والاجتهاد / طبع بيروت.
- شمس الدين - محمد مهدي بن عبد الكريم شمس الدين (ت: ١٤٢١ هـ).
أنصار الحسين / طبع بيروت الدار الإسلامية ١٩٨١.
- الشهرستاني - محمد بن عبدالكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني (ت: ٥٤٨).
الملل والنحل / طبع بيروت دار المعرفة ١٣٩٥ هـ .
- الصدر - حسن بن هادي بن محمد الحسيني (١٣٥٤).
الشيعة وفنون الإسلام

ـ الصدر الأول ـ الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٨٠م)
بحث في الولاية / الطبعة الثانية ـ دار التعارف ـ بيروت ١٩٧٩.
فدك / طبع النجف .
ـ الصدوق ـ محمد بن علي بن الحسين بن بأبويه القمي (ت: ٣٨١).
علل الشرائع / طبع النجف الحيدرية ١٣٨٥.
ـ الطباطبائي البروجردي ـ حسين
جامع أحاديث الشيعة / طبع قم ـ إيران المطبعة العلمية.
ـ الطبري ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ ـ ٩٢٣).
تاريخ الأمم والملوك / طبع الأعلمي ١٩٨٣ بيروت.
ـ الطوسي / محمد بن الحسن بن علي، أبو علي الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)
الامالي / طبع قم دار الثقافة ١٤١٤ (الطبعة الأولى)
ـ طه حسين ـ بن علي بن سلامة (ت: ١٣٩١)
عثمان بن عفان المجموعة الكاملة لأعمال طه حسين طبع بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣.
علي وبنوه / طبع القاهرة دار المعارف ١٩٦٦.
مجلة الكاتب المصري / طبع القاهرة ١٩٤٦.
ـ عاقل / د. نبيه عاقل
تاريخ خلافة بني أمية / طبع بيروت دار الفكر ١٩٧٥.
ـ العجلوني ـ إسماعيل بن محمد بن عبدالله الهادي العجلوني الدمشقي (ت: ١١٦٢)
كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما أشتهر من الأحاديث على السنة الناس / طبع مصر.
ـ العسكري ـ مرتضى (معاصر)
أحاديث أم المؤمنين عائشة / طبع إيران دار التوحيد.

- العقائد - عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد (ت: ١٣٨٣).
أبو الشهداء / المجموعة الكاملة لاعمال العقاد
عبقرية علي / المجموعة الكاملة لاعمال العقاد
عمرو بن العاص / المجموعة الكاملة لأعمال العقاد
- العمد - احسان صدقي العمد
الحجاج بن يوسف الثقفي / طبع بيروت دار الثقافة (رسالة ماجيستير)
- الفيروزبادي - مرتضى من محمد بن باقر الحسيني الفيروزبادي (ت: ١٤١٥)
فضائل الخمسة من الصحاح الستة / طبع النجف مطبعة النجف ١٣٨٣ هـ
- فلهاوزن - ولهاو زن - يوليوس فلهاو زان
تاريخ الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العش / طبع دمشق ١٩٥٦.
الخوارج والشيعة، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي / طبع القاهرة ١٩٥٨.
- القرشي - باقر شريف القرشي (معاصر)
حياة الإمام الحسن / طبع النجف مطبعة الآداب ١٩٩٣.
حياة الإمام محمد الباقر / طبع النجف مطبعة القضاء ١٣٩٨
- القرماني - أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان القرماني الدمشقي (١٠١٩)
أخبار الدول وآثار الأول / طبع القاهرة.
- القلقشندي - أحمد بن علي بن أحمد الوزاري القلقشندي (ت: ٨٢١ هـ
صبح الاعشى / في قوانين الإنشاء
- القمي - عباس بن محمد رضا القمي (ت: ١٣٥٩ هـ).
سفينة الحبار / طبع ايران
الكنى والألقاب (هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب) / طبع النجف المطبعة الحيدرية ١٩٥٦.

ـ النقدوزي ـ سليمان بن خواجة إبراهيم قبلان لاحسيني الحنفي النقشبندي القندوزي (ت: ١٢٧٠)
ينابيع المودة / طبعتان: الأولى النجف المطبعة الحيدرية ١٣٨٤، الثانية بيروت مكتبة الوفاء.
ـ الكشي ـ محمد بن عمر بن عبدالعزيز، أبو عمرو الكشي (ت نحو ٣٤٠)
معرفة أخبار الرجال، «المعروف برجال الكشي» / طبع
ـ الكيني ـ محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني الرازي (ت: ٣٢٩)
أصول الكافي / طبع بيروت دار الاضواء ١٩٨٥ (الطبعة السابعة)
ـ الكندي ـ أبو يوسف، محمد بن يوسف بن يعقوب من بني كندة (ت: ٣٥٥)
الولاة والقضاة / طبع بيروت اليسوعيين ١٩٠٨.
ـ لاوند ـ رمضان لاوند (معاصر)
الإمام الصادق / طبع بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٧٩.
ـ المبرد ـ محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي (ـ : ٢٨٦ هـ).
الكامل / طبع القاهرة البابي الحلبي ١٩٥٦.
ـ المتقي الهندي ـ علي بن عبدالملك حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥ هـ).
كنز العمال / طبع بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٨٩ أوفست عن طبعة حيدر آباد دكن.
ـ المجلسي ـ محمد بن باقر بن محمد تقي بن مقصود علي المعروف بالمجلسي (ت: ١١١١ هـ).
بحار الأنوار / طبع بيروت مؤسسة الوفاء ١٩٨٨ هـ) الطبعة الثانية.
ـ محب الدين الطبري ـ أحمد بن عبدالله بن محمد الطبري (ت: ٦٩٤)
الرياض النضرة في مناقب العشرة / مصر الحسيني ١٣٢٧ هـ
ـ محمدي ودشتي ـ كاظم محمدي ومحمدي دشتي (معاصران)

المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة طبعة بيروت دار الأضواء للطباعة ١٩٨٦.
ـ المسعودي ـ علي بن ا لحسن بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ).
مروج الذهب / طبع القاهرة مطبعة السعادة ١٩٦٤ منشورات دار الهجرة قم ١٩٨٤.
ـ المظفر ـ محمد حسين بن محمد رضا (ت: ١٣٨١)
الإمام الصادق / طبع النجف
تاريخ الشيعة / النجف مطبعة الزهراء ١٣٦١
ـ المظفر ـ محمد رضا بن محمد المظفر (ت: ١٣٨٤)
عقائد الإمامية / طبع بيروت دار الزهراء ١٩٨٠ (الطبعة الثالثة)
ـ معروف ـ هاشم معروف الحسيني (ت: ١٣٨٤)
سيرة الأئمة الاثنى عشر / طبع بيروت دار التعارف للطباعة (الطبعة السابعة).
الشيعة بين الاشاعرة والمتعزلة / طبع بيروت دار القلم ١٩٧٨.
ـ مغنية / محمد جواد مغنية (١٩٧٩م)
في ظلال الصحيفة السجادية / طبع دار التعارف لبنان ١٩٧٩م ١٢٩٩هـ
ـ المفيد ـ محمد بن محمد النعمان العكبري البغداي (ت: ٤١٣ هـ).
الإرشاد / طبع إيران ـ قم مطبعة مهر ١٤١٣ هـ تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم .
الاختصاص / طبع قم ـ جامعة المدرسين.
ـ المقدسي ـ المطهر بن طاهر المقدسي (ت: بعد ٣٥٥)
البدء والتاريخ / اعتنى بنشره كليمان هوار / طبع بالاوفست قاسم الرجب مكتبة المثنى ببغداد ـ مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٠ أوفست عن طبعة باريس لـرو ١٨٩٩.
ـ المقرم ـ عبدالرزاق المقرم (ت: ١٢٩١ هـ = ١٩٧١م)
مقتل الحسين / طبع بيروت دار الكتاب الإسلامي ١٩٧٩.
ـ المقريزي ـ أحمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني، تقي الدين المقريزي (ت: ٨٤٥)

النزع والتخاصم تقديم د. السيد محمد بحر العلوم / طبع النجف المطبعة الحيدرية.

شذور العقود في ذكر النقود (النقود الإسلامية) تحقيق د. السيد محمد بحر العلوم / طبع بيروت دار الزهراء ١٢٨٨).

ـ مقصود ـ عبدالفتاح عبدالمقصود.

الإمام علي / القاهرة (الطبعة الخامسة) دار مصر للطباعة.

ـ المناوي ـ محمد بن عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري (١٠٣١)

كنوز الحقائق في أحاديث خير الخلائق / طبع اسلامبول ١٢٨٥ هـ

ـ مؤنس ـ د. حسين مؤنس (ت: ١٩٩٦)

العالم الإسلامي وحضارته / طبع الكويت ١٩٧٠.

ـ الميلاني ـ محمد هادي بن جعفر الحسيني الميلاني (ت: ١٣٩٥)

قادتنا كيف نعرفهم/ طبع بيروت مؤسسة الوفاء ١٤١٠ هـ تحقيق السيد علي الميلاني.

ـ ناصر الدين ـ علي ناصر الدين (المعاصر)

أبو ذر الغفاري / طبع بيروت دار مكتبة الحياة (الطبعة الثانية)

ـ النبهان ـ محمد فاروق النبهان

نظام الحكم في الإسلام / طبع الكويت مطبعة جامعة الكويت ١٩٧٤.

ـ النبهاني ـ تقي الدين النبهاني

الشخصية الإسلامية / طبع مصر

ـ نصر = ابن مزاحم

ـ النفيسي ـ د. عبدالله النفيسي (معاصر)

عندما حكم الإسلام / طبع لندن

ـ النقدي ـ جعفر بن محمد بن عبدالله بن محمد تقي النقدي (ت: ١٣٧٠)

زينب الكبرى / طبع
- نور جعفر - د. نوري جعفر
علي ومناوئوه / طبع بغداد ١٩٥٦.
- الوردي / د. علي الوردي (ت: ١٩٩٥ م)
وعاظ السلاطين / طبع بيروت ط الثانية ١٩٩٥م - دار كوفان
- اليافعي - عبدالله بن اسعد بن علي اليافعي (ت: ٧٦٨)
مرآة الجنان / طبع حيدر آباد ١٣٣٧
- ياقوت الحموي - ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ).
معجم البلدان / طبع بيروت دار أحياء التراث العربي ١٩٧٩.
- اليعقوبي - أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الإخباري (ت: ٢٨٢ هـ
تاريخ اليعقوبي / طبعتان الأولى النجف الحيدرية ١٩٦٤ والثانية بيروت دار صادر..

الفهرست

المقدمة	٥
في بداية البحث	٩
الباب الأول: من الولادة الى الخلافة	
الفصل الأول: في بيت الرسالة	١٧
١ ـ في ظل محمد (ص)	١٩
٢ ـ مع أبيه الإمام علي (ع)	٢٩
٣ ـ وشارك أباه في المسؤولية	٣٨
الفصل الثاني: القيادة والمسؤولية	٥٩
١ ـ الحسن يتولى مسؤولية الخلافة والقيادة	٦١
٢ ـ معاوية يجدد أطماعه في الانقضاض على الشرعية	٧٠
٣ ـ التحرك نحو الحرب	٧٧
الفصل الثالث: المواجهة السافرة	٨٥
١ ـ التعبئة والاستعداد للحرب	٨٧
٢ ـ معاوية يمارس دور الترغيب والترهيب	٩٦
٣ ـ النتيجة الحاسمة للمعركة	١٠٦
الباب الثاني: أهدنة أم صلح	
الفصل الأول: وثيقة ما يسمى بمعاهدة الصلح	١١٥

١ ـ نص الوثيقة ومصادرها ١١٧
٢ ـ مناقشة المصادر ١٢٧
٣ ـ استكشاف الحقيقة ١٣٩
الفصل الثاني: الدعم المعنوي لترسيخ فكرة الصلح ١٤٥
١ ـ دعم المشروع الأموي بحديث نبوي ١٤٧
٢ ـ مناقشة الحديث ١٥١
٣ ـ رأينا في الموضوع ١٥٦
الفصل الثالث: الحكم المادي والنفسي لموقف معاوية ١٥٩
١ ـ تشويه أخلاقي واجتماعي ١٦١
٢ ـ العباسيون وهذه الدعوى ١٧٢
٣ ـ ماذا بعد هذا ١٧٧

الخاتمة: في نهاية التطواف
١ ـ الملك في الشام والخلافة في المدينة ١٨٣
٢ ـ الإمام الحسن يمهد الثورة لأخيه الحسين ١٨٨
٣ ـ نهاية المأساة ١٩٤
فهرس المصادر ٢١٤
الفهرست ٢٣٠